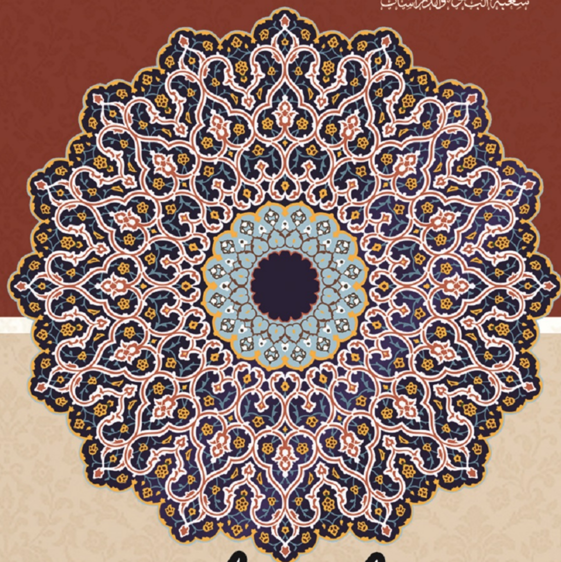
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة البحوث والدراسات



البداء



بين السنة والشيعة

باسم الحلّي

البَدَاء

بين السنّة والشيعة

باسم الحلي



بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: البداء بين السنة والشيعة.

المؤلف: باسم الحلي.

عدد النسخ: ١٠٠٠

المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر.

سنة الطبع: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ.

الإخراج الفني: الشيخ باسم العلي.

من إصدارات شعبة البحوث والدراسات

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد الأمّي المكيّ الأمين، إمام الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلائق أجمعين، رحمة الله تعالى في العالمين، وآله الطيبين المطيبين، الطاهرين المطهّرين، من الرجس تطهيراً دون بقية العالمين، وسلم تسليماً كثيراً..

إنّ كثيراً من بسطاء المسلمين - هداهم الله تعالى - يقفون في البداء عند حدين متقاطعين..؛ فإمّا أن يكون البداء عقيدة يجب على كلّ مسلم التعبّد بها إلى الله سبحانه وتعالى، كما يقول الشيعة - أنار الله تعالى برهانهم -، أو هو عقيدة باطلة، كما يقول جهلة أهل السنّة.. مع أنّ الأمر ليس كذلك؛ إذ يجب على كلّ مسلم أن يعرف جانب البداء، الذي لولاه لانهار نظام القرآن بالكليّة؛ سيما ما يتعلّق بوعد الله تعالى ووعيده، ناهيك عن أحكامه وشرائعه؛ إذ البداء هو إكسير صدق القرآن ومصداقيّته، وأكثر من ذلك تنزيه الله تعالى عن العجز الذي افترضه اليهود أنّ يد الله تعالى مغلولة، بل غُلّت أيديهم بما قالوا..؛ فلولا البداء - كما هو المستفاد من

كلمات كبار علماء الفريقين سنّة وشيعة المبثوثة في وريقاتنا المتواضعة هذه - لما بقي حجر على حجر في كتاب اللهّ تعالى..

والملفت للنظر أنّ الكلّ - شيعة وسنّة ووهابيّة - يقولون بمعنى البداء وإن تساجلوا في لفظه، فالسنّة دون ريب يعتقدون به، ويعظمون الله تعالى من خلاله..، لكن ذات الوقت نرى الجلّ لا يعرف معناه، ناهيك عن حدّه المنطقي أو رسمه العلمي.

وممّا يؤلم أنّ بعض العلماء قد تعثّرت أقلامهم في توضيحه، لينتج عن ذلك ارتباكاً غير محمود في الساحة الإسلاميّة..

وأكثر من كلّ ذلك أنّ بعض فئات أهل السنّة عدّوا عقيدة البداء من أكبر معايب الشيعة، إلاّ بعض علمائهم الكبار فيما سنرى، فإنه أفتى - وإن لم يذكر لفظ البداء - بكفر من لا يقول بمعناه، ناهيك عن كونهم يتدينون به مثلنا تماماً..

كتبنا هذه الوريقات المتواضعة، لتبيان كلّ هذا بإيجاز، في فصول ثلاثة لنبين:

أولاً: معنى البداء لغة واصطلاحاً، وأنّه عقيدة واجبة.

ثانياً: ما رواه أهل السنّة في البداء.

ثالثاً: ما رواه الشيعة في البداء.

وقدمنا قبلها جملة من الأمور التمهيدية، نسأل الله أن ينفع به إخوتنا المؤمنين، وأن يجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي الختام يشير هذا القاصر إلى أنّه كتب هذه الرسالة العاجلة في أيّام قلائل؛ إذ لم يكن الغرض هو تصنيف كتاب يلمّ بأطراف هذه العقيدة الضخمة، وإنّما تعريف البسطاء من الفريقين سنّة وشيعة بها، وإيقافهم عليها، بأبسط عبارة وأوجز كلام، ومن الله تعالى نستمد التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

باسم الحلي

تنبيهان ضروريان!!

التنبيه الأوّل:

لما كان غرضنا هو الاستدلال والاحتجاج، سردنا الأحاديث بأسانيدها المتصلة المرفوعة، بل قد أدرجنا في أصل الأحاديث ترجمة الرواة ودرجاتهم في الجرح والتعديل بين قوسين، بهذه الصورة ..؛ فعلى سبيل المثال ..

قال الإمام ابن سعد: حدثنا علي بن محمد (الإمام الثقة الكبير المدائني)، قال حدثنا ... .

فهذا الذي ارتكبناه بين القوسين، إنْ وجد مثله في هذا الكتاب بل في عامّة كتبنا، هو منّا تسهيلاً للباحثين والمحققين، ومصادره في الجملة هي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وغيرها من مصادر الرجال السنّية، المتسالم عليها.

كما ننبّه أيضاً أنّ أهل السنّة (هداهم الله تعالى) يرمزون لما احتج به البخاري بحرف: (خ)، والإمام مسلم بحرف: (م)، ولكون ما احتج به كلاهما، هو أعلى مراتب الصحيح عندهم، تابعناهم في هذا، لنذكره بين الهلالين للفائدة.

والأمر هو الأمر فيما لو تعاطينا ذلك في أسانيد أخبارنا الشيعيّة، إذا ما

رأينا ضرورة.

التنبيه الثاني:

وما يلزم التنبيه عليه - أيضاً -؛ أن تصحيح وتضعيف الأسانيد يدور مدار تعديل الرواة وتجريحهم، ولا يخفى أنّ الأنظار في هذا متفاوتة عند علماء النقد والمصطلح، حسب ما يعتبرونه من الأدلة والقرائن، ولطالما اختلفوا فيما هو معتبر منها وما هو ليس بمعتبر (رضوان الله تعالى عليهم)..

ولما كان للعبد الآثم الصغير نظر فيما يجب قبوله من القرائن وما لا يجب، فما يجده القارئ الكريم في هذا الكتاب وبقيّة كتبنا، فإنّما هو ما رجح عندي ممّا هو حجّة بيني وبين ربيّ ..

فمن ذلك أبني على تصحيح كلّ ما يصحّ عن أصحاب الإجماع إذا عنعنوا إلى المعصوم عليه السلام، وعلى حسن وربما وثاقة كلّ من يروي عنه مباشرة أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وأحمد بن أبي نصر البزنطي، وابن أبي عمير، والنجاشي، والحسن بن محبوب، وابن قولويه، وعليّ بن إبراهيم (رضوان الله عليهم) ..

ومن ذلك أنّ كلّ رواة ابن قولويه في الكامل، وعليّ بن إبراهيم في تفسيره هم ثقات عندي، بشرطين لا يتسنى التفصيل فيهما الآن ..

كما أبني على قوّة، بل حسن حال، وربما توثيق من يترضى عنه الصدوق، وكذا مشايخ الإجازة المعروفين المعتمدين، الذين ترجم لهم الطوسي والنجاشي من دون توثيق، ومن هذا القسم من روى عنه الأجلاء فأكثروا، شرط إلاّ يرد فيمن ذكرنا من النوعين أيّ طعن ..

وعندي أيضاً أنّ كلّ إسناد في الكتب الأربعة، بل في عامة الأصول الأربعمائة، وقع فيه راوٍ إمامي مجهول الحال، لم يرد فيه أيّ طعن، لا ينزل عن مرتبة القويّ، وكذا وكلاء الأئمّة (عليهم السلام) بالشرط أعلاه.

والقوي هي: المرتبة المشككة بين الحسن والضعيف كما لا يخفى على أهل الفنّ. وغير ذلك مما لا يسعنا الآن.

البداء بلغة يفهمها حتى البسطاء

آلمنا أنّ الكلّ، شيعة وسنّة ووهابيّة، في الوقت الذي يقولون فيه بالبداء، ويعتقدون به، ويعظمون الله تعالى من خلاله..، نرى الجلّ لا يعرف معناه، ناهيك عن حدّه المنطقي أو رسمه العلمي؛ وممّا يؤلم أنّ بعض العلماء قد تعثّرت أقلامهم في توضيحه، لينتج عن ذلك ارتباكاً غير محمود عند هذا الجلّ..

وأكثر من كلّ ذلك أنّ بعض فئات أهل السنّة عدّوا عقيدة البداء من أكبر معايب الشيعة، مع أنّهم ذات الوقت يتدينون به، بل أنّ بعض علمائهم فيما سنرى أفتى - وإن لم يذكر لفظ البداء - بكفر من لا يقول بمعناه.

إذن، فما هو البداء بلغة يفهمها حتى بسطاء الناس؟!

فالكلّ يعلم أنّ البداء لغة هو: الظهور، وقد بدا لله تعالى أي ظهر له، لكن ما معنى ظهر لله تعالى وبدا له سبحانه؟!!.

ضابطة البداء

البداء ببساطة شديدة جدّاً هو أنّ الله تعالى قضى بعلمه الأزلي المكنون أن **لا يُظهِر** لعباده، ثواباً أو عقاباً، رحمةً أو غضباً، إلاّ إذا **ظهر** له من العباد عملاً صالحاً أو سيئاً..؛ هذا هو أصل معنى البداء..، وهو مجمع عليه..

البداء - بأوجز عبارة-: مجموع الظهورين أعلاه.

إذن فحقيقة البداء تدور على أنّ الله تعالى قضى، في سابق علمه الأزلي الذي لا يعلمه إلاّ هو، أنْ لا يظهر لعباده في عالم الابتلاء، أيّ شيء من الثواب والعقاب والجزاء، إلاّ إذا أظهر العباد أعمالهم الصالحة أو الطالحة؛ فهذا متوقف على ذاك توقف المعلول على العلّة، والنتيجة على السبب..

الدليل القرآني على هذه الضابطة

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٣١.

أجمع مفسرو السنة والشيعة أنّ معنى قول الله تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي حتّى يظهر لنا جهاد المجاهدين خارجاً؛ فإذا ظهر لنا جهادهم، أظهرنا رحمتنا بإثابة الصابرين بالنصر والسكينة وحسن العاقبة، لكن إذا ظهر لنا جبن المسلمين وتخاذلهم، فإنّنا سنظهر غير ذلك..

ومن ذلك إجماع الفريقين سنّة وسيعة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

فلقد أجمع السنّة والشيعة في تفسيرها أنّه إذا ظهر لله من أهل القرى الإيمان والتقوى، فإنّ الله تعالى سيظهر لهم بركات السماء والأرض، وبالعكس فإذا أظهر أهل القرى التكذيب ؛ فإنّ الله تعالى سيظهر لهم عقاباً ونقمة.

ومن البداء ذلك أيضاً ما تواتر عند السنّة والشيعة، أنّ الله تعالى يظهر رحمته بإطالة أعمار من يصل رحمه من عباده، وينقص أعمار من يقطع رحمه..

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

البداء يتناول التشريع والتكوين

وهل هذا الذي يظهره الله تعالى من الثواب والعقاب، كنتيجة لما يظهره عباده من طاعة أو معصية، مختص بأمور التشريع؛ كالتشديد فيه من قبيل ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[1]، أم يتناول التكوينيات؛ كإطالة الأعمار، ودفع ميتة السوء والأمراض العضال؟!.

الذي عليه جماهير المسلمين أنّه يتناول الاثنين، وإن كان قد تعورف أنّه بالتكوينيات ألصق؛ كإطالة الأعمار ودفع ميتة السوء، ألصق.

الزبدة: فالبداء بعبارة أخرى: هو نسخ في التشريع والتكوين؛ وإنّما قضى الله أن يظهره ويحكم به سبحانه؛ نتيجة لما يظهره العباد من طاعة ومعصية.

---

(١) سورة محمد ﷺ: ٣١.

لماذا عقيدة البداء؟! جوابان!!

الجواب التقليدي:

وهو جواب حقّ، موجزه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾[1].

فلقد قضى الله تعالى – بمقتضى عدله – أن لا يثيب أو يعاقب العباد في الدنيا والآخرة، إلاّ إذا أظهر العباد طاعة أو معصيةً..؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾[2]، وقد أجمع المفسرون أنّ معنى قول الله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي ليظهرَ له سبحانه إيمان المؤمن وكفر الكافر خارجاً، حتى لو كان به عالماً أزلاً أبداً.

الجواب التام:

الجواب الأوّل، حقّ، لكنه لا يدفع شبعة لغويّة خلق الدنيا؛ فالله تعالى إذا كان عالماً علماً أزلياً بما كان ويكون وما لو كان كيف يكون..؛ قد قدّر مقادير عباده، حتّى صنّف من هم أهل الجنّة ومن هم أهل النّار، قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنة، ثمّ كتب ذلك في اللوح المحفوظ أو أمّ

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة سبأ: ٢١.

الكتاب، جف القلم وطويت الصحف، فما الداعي لخلق الدنيا ونظام الابتلاء، بعد الطوي والجفاف؟!.

الجواب التام كامن في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[1]. فلقد قضى الله تعالى أن يمحو أسماء كثيرٍ من أهل النّار من قائمة الأشقياء، ويكتبهم في قائمة السعداء، إذ اللوح المحفوظ فيه مجموع القضاءين المحتوم والمعلّق، وسيأتي التفصيل.

الزبدة

فثمّة حكمة عظيمة مطويّة في البداء؛ تلك الحكمة التي لولاها لكان خلق الدنيا لا معنى له، ولا فائدة منه، لغواً في لغو، وعبثاً في سفه، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً..

ولقد كتبنا هذه الرسالة العاجلة في فصول ثلاثة لنبيّن..

أولاً: معنى البداء لغة واصطلاحاً، وأنّه عقيدة واجبة.

ثانياً: ما رواه أهل السنّة في البداء.

---

(١) سورة النساء: ٣١.

ثالثاً: ما رواه الشيعة في البداء.

ويشير هذا القاصر إلى أنّه كتب هذه الرسالة العاجلة في أيّام قلائل؛ إذ لم يكن الغرض هو تصنيف كتاب يلمّ بأطراف هذه العقيدة الضخمة، وإنّما تعريف البسطاء من الفريقين سنّة وشيعة بها، وإيقافهم عليها، بأبسط عبارة وأوجز كلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأوّل
معنى البداء ووجوبه!

البداء في اللغة والاصطلاح

البداء في اللغة: الظهور، يقال: بدا، أي ظهر.

وأمّا اصطلاحاً، فهو: إظهار الله ما سبق في علمه المخزون، ذاك الذي خفي على عباده، ولا يحتسبون ظهوره، إلى الوجود؛ رحمةً بهم.

فكلّ ما كان في سابق علم الله تعالى، وأظهره لعباده ممّا لا يحتسبون ظهوره، فهو البداء، ومن ذلك نسخ التشريع، وهو معروف، ونسخ التكوين، كزيادة الأعمار والرزق وغير ذلك، والبداء بنسخ التكوين ألصق..

لفظ البداء في أحاديث السنة

أخرج البخاري قال: وحدثني محمد، حدثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا همام، عن إسحاق بن عبد الله، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي عمرة، أنّ أبا هريرة رضي الله عنه، حدثه: أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله عز وجل أن يبتليهم...**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير النار) ٤: ١٧١، رقم: ٣٤٦٤. دار طوق النجاة.

قال ابن حجر في الفتح: قوله «**بدا لله**» بتخفيف الدال المهملة، بغير همز: **أي سبق في علم الله، فأراد إظهاره**، وليس المراد أنّه ظهر له بعد أن كان خافياً؛ لأنّ ذلك محال في حق الله تعالى[١].

قلت: ما ذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في تفسير: «بدا لله» هو في الجملة عين ما يقوله مشهور الشيعة الأعظم في معنى البداء، حذو القذة بالقذة.

مثال تطبيقي للبداء في القرآن؛ قوم يونس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٢].

أمر الله تعالى يونس عليه السلام أن ينذر قومه بنزول العذاب إذا أصروا على الكفر، فلـمّا اصرّوا ولم يستجيبوا، أنزل الله تعالى عليهم العذاب قريباً منهم، فلم يبق شكّ عند يونس عليه السلام في أنّهم معذّبون؛ فلقد دنى العذاب فعلاً، ورآه حقّاً، وتهيّأ عليه السلام لتركهم طرّاً؛ فلقد أخبره الله تعالى بذلك إذا أصرّوا..

---

(١) فتح الباري ٦: ٥٠٢.

(٢) سورة يونس: ٩٨.

لكنّهم – وهذا هو البداء – جأروا إلى الله تعالى ؛ ففرّقوا بين الرضيع وأمّه، والأنعام وصغارها، والزوج وزوجته، وامتنعوا عن الطعام والشراب، ثمّ آبوا إلى الله قائلين: «**يا حيّ حين لا حيّ، يا محيي الموتى، لا إله إلا أنت...**» فكشف الله تعالى عنهم العذاب؛ أي أظهر سبحانه ممّا في مخزون علمه، ومكنون فضله، للتائبين من عباده، ما كان خافياً حتى على يونس عليه السلام.

وهنا علم يونس عليه السلام، أنّ أمر الله في خلقه لا يدور فقط على العلم المبذول لأنبيائه ورسله، بل أيضاً على علمه المخزون الخفي الذي لا يعلمه إلاّ هو سبحانه؛ لذلك صرخ يونس منادياً: ﴿**فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]؛ إذ: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وعنده أم الكتاب**﴾.

قلت: فهذا هو البداء بلحمه وعظمه ؛ وخلاصته فيما نحن فيه، أنّ الله تعالى قضى بعذاب قوم يونس إذا أصرّوا ؛ فلمّا أصرّوا أظهر غضبه فأنزل عذابه عليهم، لكن لما تابوا، بدا لله تعالى أنْ يظهر لهم عفوه

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.

ورحمته..؛ فالبداء هنا إظهار الله ما كان خافياً حتى على يونس من عفـوه، بسبب توبة قومه النصوح..

أركان عقيدة البداء

الأوّل: لا مبدل لكلمات الله تعالى.

فلقد كتب الله تعالى مقادير الخلائق، وما هم صائرون إليه، قبل خلق الخلق بكذا ألف سنة، وأودعه في أمّ الكتاب أو اللوح المحفوظ (فيه خلاف) جفّ القلم وطويت الصحف، لا مبدّل لكلماته تعالى، جملةً أو تفصيلاً؛ فالله منذ الأزل عالم بتوبة قوم يونس، كما أنّه سبحانه عالم أنّهم سيصرّون على الكفر قبل التوبة، وهكذا بقيّة التفاصيل؛ لكونه أحاط بكلّ شيء علماً، لكن كيف يتلائم هذا مع البَداء؟!.

الثاني: لله تعالى في شأن عباده، كتابان أو قضاءان:

الكتاب الأوّل: كتاب القضاء المحتوم، وهذا ثابت لا يتغيّر؛ لأنّ الله تعالى عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وفيما نحن فيه فالله سبحانه عالم منذ الأزل بأنّ عاقبة قوم يونس التوبة، فلا تغيير.

الكتاب الثاني: كتاب القضاء الموقوف والمعلّق.

وقد أطلق عليه بعض العلماء: كتاب المحو الإثبات، فلقد قضى الله تعالى أن يعلّق الأمر على سعي العبد، فإن فعل العبد كذا فجزاؤه كذا، وإن فعل كذا فكذا..؛ فحسب المثال أعلاه ؛ فإنْ أصر قوم يوم يونس على الكفر فجزاؤهم العذاب، وإنْ تابوا فالتمتع إلى حين، وقد حصل الأمران بنصّ القرآن، ومن هذا الباب قضيّة آجال العباد ؛ فهناك أجلان: محتوم وموقوف.

الثالث: طويت الصحف وجف القلم.

على كلّ من القضائين، القضاء المحتوم والقضاء المعلّق؛ فكلاهما ممّا جف القلم عليه في أم الكتاب (أو اللوح المحفوظ) وليس على المحتوم فقط، بهذا تندفع شبهة تنافي جفاف القلم مع المحو والإثبات.

وحاصل هذا، وقد جزم به بعض علماء الفريقين أنّ اللوح المحفوظ أو أم الكتاب، يضمّ مجموع الكتابين، كتاب القضاء المحتوم، وكتاب المحو والإثبات.

وذهب جماعة إلى أنّ ما في اللوح المحفوظ، أو أم الكتاب، لا يتغيّر، لا محو فيه ولا إثبات، لا يعلم بكل تفاصيله إلاّ الله تعالى، والذي فيه المحو والاثبات، هو ما أطلع الله تعالى عليه رسله وأنبيائه وملائكته..

قلت: لا ثمرة في هذا، بعد الاتفاق على الأركان، فالأشبه أنّه نزاع مصطلحات.

الرابع: البداء أعظم رحمة من الله لعباده الأشقياء.

سيتضح في مطاوي هذه الرسالة أنّ الغرض من البداء هو المطوي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[1].

(١) سورة النساء: ٣١.

الشقاء والسعادة وشبهة تنافي علم الله تعالى

ثمّة شبهة طرأت على أذهان العوام أنّ الله تعالى إذا كان عالماً بخاتمة العبد الفلاني وأنّه من أهل النار الأشقياء، فجريان البداء في حقّه ليمحى من ديوان الأشقياء ويكتب في ديوان السعداء، محال؛ لحصول التغيّر في علم الله سبحانه وتعالى؟!!

قلنا: عُلم جواب هذا ممّا قدمناه ؛ فإذا كان هذا العبد في علم الله تعالى المحتوم من الأشقياء، فهو من الأشقياء دون كلام؛ لأنّ علم الله تعالى لا يتخلّف، وكذا الأمر لو كان من السعداء، لكن ماذا لو كان في علم الله تعالى الأزلي مشروطاً بالتوبة؟!

والكلام هو الكلام في الأجل؛ فإذا كان الأجل في علم الله تعالى كذا، فالتغيير فيه محال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]، والمقصود ما كان في علم الله تعالى محتوماً في الكتاب المحتوم.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٤.

أمّا إذا كان في علم الله تعالى معلّقاً، أي مشروطاً بصلة الرحم مثلاً أو الصدقة فلا تنافي؛ لأنّه معلّق مشروط مسمّى في علم الله تعالى من الأساس..، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1]، وقد جمعها قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[2]، وكذا السعادة والشقاوة..

---

(١) سورة نوح: ٤.

(٢) سورة الأنعام: ٢.

للبداء معنيان، ظهوران لا يتنافيان

مرّ في أوّل صفحة أنّ البداء بأوجز عبارة هو مجموع ظهورين كالآتي..

البداء = ظهور من العبد لله + ظهور من الله على العبد.

هذان الظهوران موجودان في علم الله الأزلي؛ فالله تعالى عالم بما كان، ويكون، وما سيكون، وما لو كان كيف يكون؛ وإنّما كما قلنا مراراً وتكراراً قضى الله تعالى أن لا يثيب ولا يعاقب في الدنيا والآخرة إلاّ إذا ظهر له من العبد طاعة أو معصية، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾[1]. ولقد أجمع المسلمون أنّ معنى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾، أي حتى تظهر لنا طاعة المجاهدين لنميزهم عن غيرهم....

ما ينبغي التنبيه عليه، هو أنّ عندنا نحن الشيعة وكذا أهل السنّة، دون خلاف أعلمه، تخريجان مرضيّان مستحسنان للبداء، وربما ظنّ بعض

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٣١.

علماء الفريقين أنّهما معنيان متقابلان متنافيان، وهو خطأ محض؛ إذ البداء شيء واحد، غاية الأمر أنّ له اعتبارين في جهتين..

المعنى الأول: الظهور لله تعالى.

لغرض الجزاء وحساب العباد؛ فإنّ الله تعالى قضى بعلمه ورحمته، أن لا يحاسب العباد إلاّ إذا أظهروا له سبحانه أعمالهم موجودةً في الخارج، وهذا معلوم ضرورة لكلّ أهل القبلة، شيعة، وأشاعرة وما تريديّية، ومعتزلة، ووهابيّة..، ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

والغرض من هذا - في الحساب - مطوي في قوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1].

قال الإمام السنّي ابن الجوزي (٥٩٧هـ): ﴿**حَتَّى نَعْلَمَ**﴾ العلم الذي **هو علم وجود، وبه يقع الجزاء**[2].

---

(١) سورة النساء: ١٦٩.

(٢) تفسير ابن الجوزي = زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٤ : ١٢٢ . دار الكتاب العربي، بيروت.

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ نحمله على أنّ المراد به حتّى نعلم جهادكم موجوداً؛ فقبل وجود الجهاد لا يُعلم الجهاد موجوداً، وإنّما يُعلم كذلك بعد حصوله، فكذلك القول في البَداء.

قال الشيخ الطوسي رضي الله عنه: وهذا وجه حسن جدّاً[1].

قلت: وممّن صرّح به من كبار أهل السنّة الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) القائل: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ العلم الذي هو **علم وجود**، **وبه يقع الجزاء**[2]. وسيأتيك غيره من تصاريح كبار علماء أهل السنّة قريباً..

---

(١) العدة في أصول الفقه للشيخ الطوسي (ت: محمد رضا الأنصاري) ٢: ٤٩٦. ستارة، قم.

(٢) تفسير ابن الجوزي=زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٤: ١٢٢. دار الكتاب العربي، بيروت.

المعنى الثاني: الظهور من الله تعالى

بدا لله تعالى بمعنى ظهر منه لا لـه؛ والوجه فيه أنّ الله هو من أظهر للعباد ما كان خافياً عنهم، وأوجد ما كان معدوماً فيهم، ومحى برحمته ما أثبته بعدله عليهم؛ والمستند فيه قول الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1].

قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه في التصحيح: فالمعنى في قول الإمامية بدا لله في كذا، أي: **ظهر منه**، وليس المراد منه تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه تعالى...، فهي معلومة له فيما لم يزل، وإنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظنّ وقوعه[2].

البداء مجموع الظهورين.

قلت: ولا تنافي بين المعنيين إطلاقاً، فلقد أوضحنا بما لا يبقى معه ترديد أنّ حقيقة البداء هي مجموع الظهورين = **ظهور من الله** + **ظهور من العبد.**

---

(١) سورة الزمر: ٤٧.

(٢) تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد (ت: حسين دركاهي) ٦٦. دار المفيد، بيروت، لبنان.

ومن أجلى الأمثلة القرآنيّة على مجموع الظهورين في قوله تعالى من قصّة موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ...، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1]. وكذا ما مرّ في قضيّة يونس عليه السلام..

تسمية علم الله في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾ !!

أطلق علماء السنة والشيعة على هذا العلم: علم الفعل؛ أو الفعال، أو علم الوجود، أو علم الشهود، أو علم الشهادة، أو علم الظهور، أو علم الرؤية، أو علم الوقوع، وبعضهم سماه: علم الجزاء؛ كون الجزاء يترتب عليه، قبال علم الذات، الذي لا يحيط به غيره سبحانه، فهاك بعض تصاريحهم في علم الجزاء أو الفعال..

---

(١) سورة المائدة: ٢٤-٢٦.

تصاريح أهل السنّة بمعنى البداء= ظهر لله تعالى

قال الإمام المفسّر ابن جزي الكلبي: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ أي نعلمه علماً ظاهراً في الوجود، تقوم به الحجّة عليكم؛ وقد علم الله الأشياء قبل كونها، ولكنّه أراد إقامة الحجة على عباده[1].

قال إمام الماتريديّة، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ): قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ حتى نعلمه موجوداً؛ كما قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ علم الغيب، علم أنّه مُوجَد. وعلم الشهادة، عَلِمَ به موجوداً[2].

وقال ابن أبي زمين (٣٩٩هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، هذا علم الفعال ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: نختبركم؛ فنعلم من يصدق فيما أعطي من الإيمان ومن يكذب[3].

---

(١) تفسير ابن جزي الكلبي٧٤١هـ (ت: عبد الله الخالدي) ٢: ٢٨٤. دار الأرقم، بيروت.

(٢) تفسير الإمام الماتريدي (ت: مجدي باسلوم) ١: ٥٤٥. العلمية، بيروت.

(٣) تفسير ابن أبي زمين(ت: حسين عكاشة، محمد الكنز) ٤: ٤٥. الفاروق الحديثة، مصر.

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ العلم الذي هو **علم وجود، وبه يقع الجزاء**[١].

وقال الإمام السيوطي (٨٦٤هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾[٢]: **علم ظهور**[٣].

وقال مقاتل(١٥٠هـ) في تفسيره: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾، يعني كي **نرى** من يجاهد منكم ومن يصبر من الصابرين[٤].

وقال الإمام البغوي (٥١٠هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ **علم الوجود**؛ أي حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره [٥].

وقال الإمام الرازي (٦٠٦هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ أي نعلم المجاهدين من غير المجاهدين ويدخل في **علم الشهادة**؛ فإنّه تعالى قد علمه علم الغيب [٦].

---

(١) تفسير ابن الجوزي=زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٤ : ١٢٢ . دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) سورة محمد ﷺ: ٣١.

(٣) تفسير الجلالين: ٦٧٧ . دار الحديث، القاهرة.

(٤) تفسير مقاتل(ت: عبد الله شحاتة) ٤ : ٥٠ . إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) تفسير البغوي (عبد الرزاق مهدي) ٤ : ٢١٨ . إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) تفسير الرازي ٢٨ : ٦٠ . إحياء التراث العربي، بيروت.

وقال الإمام السمرقندي(٣٧٣هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ أي **نميّز المجاهدين والصابرين**[١].

وقال الإمام الخازن (٧٤١هـ): المراد من قوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ...﴾ أي **علم الوجود والظهور**[٢].

وقال الإمام النسفي (٧١٠هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ... ﴾ على الجهاد؛ أي **نعلم كائناً**، ما علمناه أنّه سيكون[٣].

وقال إمام الوهابية ابن العثيمين (١٤٢١هـ): العلم الذي يترتب عليه الجزاء هو المراد، أي **لنعلم علماً يترتب عليه الجزاء**؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ ، فقبل أن يبتلينا قد علم من هو المطيع ومن هو العاصي، لكن هذا لا يترتب عليه لا الجزاء ولا الثواب، فصار المعنى: لنعلم علم ظهور ومشاهدة؛ يترتب عليه الجزاء[٤].

---

(١) تفسير السمرقندي ٣: ٣٠٥.

(٢) تفسير الخازن (ت: محمد علي شاهين) ٤: ١٤٩. العلمية، بيروت.

(٣) تفسير النسفي (ت: يوسف بديوي) ٣: ٣٣٠. دار الكلم الطيب، بيروت.

(٤) تفسير سورة الكهف لابن العثيمين: ٢٤. دار ابن الجوزي، السعودية.

وقال الإمام الزجاج في معانيه: وتأويل ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ واللهُ عزَّ وجلَّ قد علمهم قبل ذلك: معناه يعلم ذلك واقعاً منهم كما قال عز وجل: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ أي ليقع ما علمناه غيباً، مشاهدة للناس، ويقع منكم؛ وإنّما تقع المجازاة على ما عَلِمَه اللهُ من الخلق وقوعاً[1].

وقال القرطبي مكي بن أبي طالب(٤٣٧هـ، وهذا ليس القرطبي المعروف): ومعنى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ حتى نعلم ذلك منكم علم مشاهدة يقع عليها الجزاء، وقد علم تعالى ما يكون من عباده من الطاعة والمعصية قبل خلق الخلق[2].

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): لا يعذب الله تعالى الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم، كما قال سبحانه: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ فهذا علم بالشيء بعد كونه، وإن كان العلم السابق حاصلاً به قبل وجوده[3].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (ت: عبد الجليل الشلبي)١: ٤٧١. العلمية، بيروت.

(٢) زهرة التفاسير(ت: الشاهد البوشيخي) ١١: ٦٩٧١. جامعة الشارقة.

(٣) تفسير ابن كثير(ت: محمد حسين) ٦: ٣٥٤. العلمية، بيروت.

وقال ابن حيان: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ أي نعلمهم مجاهدين، قد خرج جهادهم إلى الوجود[1].

علّة تقسيم علم الله تعالى إلى: علم الذات وعلم الفعل

ببساطة قضى الله أنّ الثواب والعقاب والحساب والجزاء، يدور مدار ما يظهر له سبحانه من فعل العبد موجوداً لا معلوماً له منذ الأزل..؛ قضى بهذا سبحانه ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2]، هذا أولاً.

وثانياً: ليرحم سبحانه كثيراً من الأشقياء ليجعلهم سعداء، وسيأتي الدليل على الثاني.

---

(١) تفسير ابن حيّان الأندلسي ٧٤٥هـ (ت: صدقي جميل) ٩: ٤٧٦. دار الفكر، بيروت.

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

البَداء عقيدة واجبة وعبادة عظيمة

لعدّة أمور عقديّة جلل، ذات خطر..، أهمها اثنان..

الأوّل: لا بدّ من البداء، وإلاّ فلا مناص من الوقوع في شراك عقيدة اليهود المكذّبة لقوله تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ و: ﴿ **يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ و: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[١]، فلقد زعموا: أنّ الله فرغ من الأمر إثباتاً، فلا محو: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٢]..، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الثاني: لغويّة الابتلاء والامتحان في الأرض، بل تكذيب القرآن في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٣] و:﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٤]، ومئات

(١) سورة الأنعام: ٢.

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

(٤) سورة هود عليه السلام: ١١٩.

الآيات الشريفة الأخرى، وسيأتي بعض البسط؛ لأهميّة وخطورة ما نحن فيه.

إذا اتّضح هذا فالأظهر الأقوى أنّ البداء يتناول النسخ التشريعي والتكويني، بل الجزاء يوم الحساب أيضاً، وإنْ كان المتبادر منه نسخ التكوين في الأرزاق والأعمار في هذه الدنيا..؛ وقد أرى أنا القاصر أنّ أشرف أغراض البداء عدا تنزيه الله تعالى، ما يتعلق بالسعادة والشقاوة، بيان ذلك..

إنّ الله تعالى وإنْ كان عالماً -في الأزل- بأهل السعادة والشقاوة، من استحقّ الجنّة ومن استحقّ النار، إلاّ أنّه - **برحمته ومنّه** - قد قضى ابتلاءً، وقدّر امتحاناً، ألاّ يثيب وألاّ يعاقب، وألاّ يمنّ في الدنيا وألاّ يتفضّل في الآخرة، إلاّ إذا ظهر له (تحقق = وجد) طاعة أو معصية من العبد في الخارج..؛ فهذا هو سرّ تسميته بالبَداء..، وقد مضت كلمات علماء الفريقين قبل قليل..

وبعبارة ثانيّة: قد تفضّل الله تعالى قدسه على الخلائق أن يزيد أهل السعادة سعادة بابتلاء وامتحان، وأن لا يُثبِت أهل الشقاوة على الشقاوة

والعقاب، إلاّ بابتلاء وامتحان، مع رحمة للفريقين، أوسع من السماوات السبع والأرضين السبع= ﴿إِلَّا مَن تَابَ... وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾..

بداء الله في السعداء والأشقياء

وبعبارة ثالثة: كتب الله تعالى يوم العهد والميثاق في الذر، أو يوم التقدير، أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار، هؤلاء عن يمين العرش، وأولئك عن شماله، طويت الصحف وجف القلم، لكن كان من تقديره وقضائه المعلّقين أنْ يزيد سبحانه وتعالى، سعادة أهل السعادة تفضلاً وإن أثبتها في اللوح عدلاً، وكذا الأمر فيمن طابت طينته من أهل الشقاوة، بالبلاء والشفاعة ومودة القربى من آل بيت رسول الرحمة، سيما المولى عليّ عليه السلام[1].

---

(١) هذا من ضروريات الدين ومسلمات القرآن المبين، ولقد ورد في السنة ما أخرجه الحاكم (في المستدرك، ت:مصطفى عبد القادر عطا ٣: ١٦٢، رقم: ٤٧١٢. العلمية، بيروت) بإسناده عن ابن عباس: «...**لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى، وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار**» قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
وكذا الصحيح من قول الحبيب صلى الله عليه وآله: «**من مات على حب آل محمد مات سعيداً**» و: «**لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك...**» وغير ذلك مما هو متواتر، معلوم ضرورة.

شبهات عويصة لا يدفعها إلاّ البداء !!

انتشر في أفهام العوام أنّ المقصود بالبداء، هو ما لا يعدو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[1]، ولا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[2]، وما جرى مجرى ذلك من آي الذكر الحكيم..

قلت: هذا وإن كان صحيحاً في نفسه، إلاّ أنّه لا يدفع شبهة لغويّة خلق الدنيا، أو شبهة كذب القرآن أو...، هاك لترى الآتي..

الأولى: شبهة لغوية خلق الدنيا وأهلها!!

حاصل الشبهة: أجمع السنّة والشيعة، بل هو معلوم ضرورة، على أنّ الله تعالى قد قدّر مقادير الخلائق، أهل الشقاوة وأهل السعادة، أهل الجنّة عن يمين العرش، وأهل النّار عن شماله، قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنّة، وكتب سبحانه كلّ ذلك في أم الكتاب الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة في

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

الملك والتدبير إلاّ أحصاها، جفّ القلم وطويت الصحف، لا مبدّل لكلمات الله تعالى..

لكن إذا كان القلم قد جفّ عن علم الله تعالى الذي أحاط بكلّ شيء، الذي لا مبدل لكلماته سبحانه، في أهل الجنّة السعداء، وأهل النار الأشقياء، قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنة، فلم خلق الله الدنيا وأهلها من طين؟!!.

لا جواب إلاّ البداء.

الشبهة الثانية: كذب القرآن، وحاشاه!!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2]، وما جرى مجرى ذلك من آي الذكر الحكيم وهي كثيرة..

---

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

حاصل الشبهة: إذا كان القلم قد جفّ عن أهل اليمين وأهل الشمال، أهل الجنة والنار، قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنة ؛ فتكفير السيئات، وتبديلها إلى حسنات كذب؛ وإلاّ لزم اجتماع النقيضين وهو محال.

ولا مخلص من هذا إلاّ القول بالبداء.

الشبهة الثالثة: كذب وعد الله، تعالى الله علواً كبيراً

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]. وقال تقدست أسماؤه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[3]، وعشرات الآيات التي من هذا القبيل، كلّها كذب مع جفاف القلم وطوي الصحف.

حاصل الشبهة: إذا كان القلم قد جفّ قبل خلق الدنيا عن علم الله تعالى في أهل الجنة والنار؛ فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إنّي لغفار**﴾ وقوله

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) سورة طه: ٨٢.

تعالت قدرته: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وأمثال ذلك من آيات الكتاب، كذب بيّن.

البداء هو المخرج، لا محيص عنه ولا مفرّ.

الشبهة الرابعة: شبهة اليهود يد الله المغلولة

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]. كما قد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2]. وقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. وقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾، وكذا السعادة والشقاوة..

قلت: على منكري البداء، تعطيل هذه الآيات وعشرات غيرها.

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) سورة الرحمن: ٢٩.

قول الإمام ابن حزم الأندلسي فيمن كذّب بالبداء

قال الإمام علي بن أحمد، ابن حزم الأندلسي الظاهري (٤٥٦هـ) في الفصل قال: قال تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ فصح أنّه لا يمحو إلاّ ما كان قد كتبه، ومن المحال أن يمحى ما لم يكن مكتوباً، وهذا بطلان قولهم يقيناً ولله الحمد، وكذلك نص قوله تعالى: ﴿ **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ فهذا نص قولنا، وبطلان قولهم؛ لأنّ الله تعالى سمى أفعالهم الماضية سيئات، والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك، ثمّ أخبر تعالى أنّه أحالها (أي حوّلها) وبدلها حسنات مرضية، فمن أنكر هذا فهو مكذب لله تعالى، والله تعالى مكذب له[١].

نص ابن تيمية في معنى البداء !!

قال ابن تيمية الحرّاني (٧٢٨هـ): والأجل أجلان، أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد. وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢]. فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال: «**إن وصل رحمه زدته كذا وكذا**» والملك لا يعلم

---

(١) الفصل ٤: ٤٩، مكتبة الخانجي القاهرة.

(٢) حديث صحيح بل متواتر معنى عن النبي ﷺ، رواه البخاري وغيره.

أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر[1].

قلت: ما حرره ابن تيمية، هو البداء الذي تقوله الشيعة الإماميّة أنار الله برهانهم، بشحمه ولحمه وعظمه، وعجب منهم أنّهم يعيبونه علينا، بل بعضهم ربما كفّرنا دون أدنى دراية، والله المستعان على جهل أهل الزمان.

(١) مجموع الفتاوى(ت: عبد الرحمن قاسم) ٨: ٥١٧. مجمع الملك فهد.

تفرّد عليٍّ عليه السلام في رواية البداء عن النبي صلى الله عليه وآله

تلزم الإشارة إلى تفرّد مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ دون بقيّة الصحابة في رواية هذه العقيدة الإلهيّة الكبيرة، والبشرى السماويّة العظيمة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلم تؤثَر مسندة عنه صلى الله عليه وآله إلاّ بواسطة عليّ، وإنّما أصرّ الشيعة، تبعاً للأئمة الاثني عشر المطهرين من الرجس عليهم السلام على بثها والاعتقاد بها والتسليم لها؛ لكونها بشرى لهم، ووعداً لخصوص محبّي محمد وآل محمد عليهم السلام[1]، ولأنّ عكسها شبهة يهوديّة ملعونة قديمة، ظهرت مرة أخرى في التابعين، لَبَّسَت على المسلمين أيّما تلبيس، جعلت من يد الله مغلولة في العدل، لا تقدر على شيء من الفضل، كذّبت صريح القرآن ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[2] ومنعت رجاء الفرقان: ﴿ أُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾[3] وقضاء ربنا الرحمن: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[4]، حتّى صفّق لها أغيلمة الكفران وشجرة الشيطان..، تعالى الله عمّا يفترون، علواً كبيراً..

---

(١) أنا أعتقد أنّ كلّ أهل السنّة يحبّون محمداً وآل محمد عليهم السلام، باستثناء النواصب طبعاً.

(٢) سورة الرحمن: ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

(٤) سورة الرعد: ٣٩.

والأدهى من ذلك أنّ هذا الكثير، قد حار في معنى البداء؛ حتى توهموا أنّ معنى بدا لله: ظهر لله تعالى ما كان يجهله، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً..، فتعين علينا إيجاز البيان وإقامة الدليل والبرهان. فإنّه يرد على هؤلاء: من أين توهموا أنّ لازم كلّ ظهور لله تعالى هو الجهل؟!!.

فلجلالة هذه العقيدة في توحيد إله العالمين، ولعظيم آثارها في السماوات والأرضين، سيما أنّها بشرى لخصوص شيعة عليّ الميامين، بل عموم محبّيه الطاهرين، نستطرد لبيان عويصاتها بإيجاز، بعد أن أجملنا معناها باختصار..

الفصل الثاني
ما رواه أهل السنّة في البداء

حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام في البداء

أخرجه أبو نعيم (٤٣٠هـ) في الحلية قال: حدثنا سليمان بن أحمد (الإمام الثقة الطبراني صاحب المعاجم فوق الوصف)، ثنا الحسن بن جرير الصوري (إمام محدث كبير الشأن)، ثنا إسماعيل (ابن أبي أويس، ثقة عن غير الإمام مالك، خ م) عن أبي الزناد من أهل وادي القرى (عبد الرحمن بن أبي الزناد القرشي، ثقة حافظ عالم بالتفسير، تغير حفظه بأخرة) حدثني إبراهيم، شيخ من أهل الشام (إبراهيم بن أبي سفيان، وثقه أبو مسهر كما نقل أبو نعيم ذيل هذا الحديث) عن الأوزاعي (إمام كبير فقيه ثقة، فوق الوصف)، قال: قدمت المدينة فسألت محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن قوله عز وجل: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾[1]، فقال: نعم، حدثنيه أبي، عن جدّه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: سألت عنها رسول الله فقال:

«لأبشرنّك بها يا عليّ؛ فبشر بها أمتي من بعدي، الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحوّل الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء».

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

قال أبو نعيم: غريب تفرد به إسماعيل عن أبي الزناد. وإبراهيم بن أبي سفيان. قال أبو زرعة: سألت أبا مسهر عنه فقال: من ثقات مشايخنا وقدمائهم[1].

قلت: إسناده جيّد. قال المناوي (١٠٣١هـ) في الفيض: إبراهيم هو ابن أبي سفيان، ثقة[2]. والحديث أعلاه نصّ ظاهر صريح في معنى البداء، يشهد له من أحاديث الصحابة..

---

(١) حلية الأولياء٦: ١٤٥. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) فيض القدير ٤: ٢٣٧. رقم: ٥١٤٦. المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
أنبه إلى أنّ الإمام الألباني ضعّف الإسناد ؛ لعدم معرفته بإبراهيم فيما قال، وهذا منه ذهول غريب، فأبو نعيم صرح به، ناهيك عن تصريح الإمام المناوي.

حديث ابن مسعود في البداء

الطريق الأول: أبو قلابة عن ابن مسعود.

أخرج الطبري (٣١٠هـ) قال: قال: حدثنا المثنى (بن إبراهيم الآملي، ثقة، وثقه ابن كثير ضمناً)[١]، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال (الأنماطي ثقة خ م) قال: حدثنا حماد (بن سلمة البصري، ثقة عابد خ م)، عن خالد الحذاء (خالد بن مهران ثقة خ م)، عن أبي قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي، ثقة ثبت خ م)، عن ابن مسعود، أنّه كان يقول: «**اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاءِ فَامْحُنِي، وَاثْبُتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ**»[٢].

قلت: إسناده حسن صحيح. له حكم المرفوع، وسيأتي ما يدل عليه.

الطريق الثاني: شقيق أبو وائل عن ابن مسعود

قال الطبري: حدثنا أبو كريب (الإمام الحافظ محمد بن العلاء الهمداني، ثقة خ م) قال: حدثنا عثام (بن علي الكلابي ثقة)، عن

---

(١) قال ابن كثير (في تفسيره ١: ٢٥٤. ت: سامي سلامة. دار طيبة للنشر):
قال الطبري: وحدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا أبو داود الحفري، عن سفيان عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كل ظن في القرآن فهو علم. **وهذا سند صحيح**.
أضف إليه أنّ اعتماد الطبري عليه وإكثاره عنه، يفيد علو مقامه وجلالة شأنه بما يرادف توثيقه.
(٢) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨٣. رقم: ٢٠٤٨٢. مؤسسة الرسالة.

الأعمش (سليمان بن مهران، ثقة خ م)، عن شقيق (بن سلمة، أبو وائل الأسدي، الفقيه الكبير الإمام الثقة، من تلامذة بن مسعود الكبار خ م) أنّه (ابن مسعود) كان يقول: « **اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا أَشْقِيَاءَ فَامْحُهُ، وَاكْتُبْنَا سُعَدَاءَ، وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا سُعَدَاءَ فَأَثْبِتْنَا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ**»[1].

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وقوله: أنّه كان يقول ؛ أي الصحابي ابن مسعود، يدل على ذلك..

ما أخرج الطبري قال: حدثنا عمرو (بن علي الفلاس، إمام ثقة خ م) قال: حدثنا وكيع (الإمام الشهور الثقة خ م) قال: حدثنا الأعمش، عن أبي وائل (كنية شقيق نفسه) قال: كان (أي الصحابي ابن مسعود) ممّا يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا أَشْقِيَاءَ فَامْحُهُ، وَاكْتُبْنَا سُعَدَاءَ، وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنَا سُعَدَاءَ فَأَثْبِتْنَا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ**»[2].

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين..

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦ : ٤٨١. رقم: ٢٠٤٧٦. مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦ : ٤٨١. رقم: ٢٠٤٧٧. مؤسسة الرسالة.

قال الإمام أحمد محمد شاكر في هامش الحديثين أعلاه: شقيق، هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، وهو أبو وائل، كما في الإسناد الثاني، كان أعلم أهل الكوفة بحديث عبد الله بن مسعود؛ فقوله: كان يكثر أن يدعو، الضمير في ذلك إلى عبد الله بن مسعود. وساقه ابن كثير في تفسيره مساقاً يوهم أنّه شقيق بن سلمة نفسه الذي كان يكثر أن يدعو، وقد أساء...»[1].

الطريق الثالث: القاسم الهذلي عن ا بن مسعود

وأخرج ابن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية (محمد بن خازم الأعمى، ثقة خ م) عن عبد الرحمن بن إسحاق (الأنصاري، ضعيف الحديث، لكنّه صالح في الشواهد) عن القاسم بن عبد الرحمن (الهذلي ثقة) عن عبد الله بن مسعود، قال: «ما دعا قط عبد بهذه الدعوات إلاّ وسع الله عليه في معيشته: «يَا ذَا الْمَنِّ فَلَا يُمَنُّ عَلَيْكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا ذَا الطَّوْلِ وَالْإِنْعَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ظَهْرُ اللَّاجِئِينَ، وَجَارُ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَمَأْمَنُ الْخَائِفِينَ، إِنْ كَتَبْتَنِي عِنْدَكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ شَقِيّاً، فَامْحُ

---

(١) هامش تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨١.

عَنِّي اسْمَ الشَّقَاءِ، وَأَثْبِتْنِي عِنْدَكَ سَعِيداً مُوَفَّقاً لِلْخَيْرِ، فَإِنَّكَ تَقُولُ فِي كِتَابِكَ: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .[1]

قلت: إسناده صالح في الشواهد.

الطريق الرابع: الحسن البصري عن ابن مسعود

أخرج ابن عساكر (٥٧١هـ) أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفرضي (ثقة ثبت) وعلي بن زيد السليمان (سيق متابعة، عفيف مستور) قالا: أنا أبو الفتح نصر بن ابراهيم (المقدسي، ثقة فقيه عظيم الشأن) زاد الفرضي وأبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق (ثقة) قالا: أنبأ أبو الحسن بن عوف (محمد بن عوف المازني، ثقة مأمون) أنبأ أبو علي بن منير (قال الذهبي: الشيخ الصدوق) أنا أبو بكر محمد بن خريم (العقيلي، ثقة) نا هشام بن عمار (السلمي ثقة صدوق خ) نا أبو غفار عبد الرحمن بن سعيد بن بشير(البصري، ترجم له الذهبي وغيره دون طعن) نا الوليد بن عبد الله المزني ابن أخي النعمان بن مقرن (يظهر أنّه معتمد عند سفيان بن عيينة) عن الحسن بن أبي الحسن (البصري، إمام ثقة خ م) قال أظنّه ذكر عبد الله بن مسعود قال كان ادريس النبي عليه الصلاة والسلام يدعو

(١) مصنف ابن أبي شيبة (ت: كمال الحوت) ٦: ٦٨، رقم: ٢٩٥٣٠. مكتبة الرشد، الرياض.

بدعوة كان يأمر ألاّ يعلموها السفهاء فيدعون بها فكان يقول: «**يا ذا الجلال والاكرام، ويا ذا الطول لا اله الا أنت، ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، وأنيس الخائفين، إنّي أسألك إن كنت في أم الكتاب شقياً أن تمحو من أم الكتاب شقاوتي، وتثبتني عندك سعيداً، وإنْ كنت في أم الكتاب محروماً مقتراً عليّ في رزقي، أن تمحو من أم الكتاب حرماني واقتار رزقي، وتثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير كلّه**»[1]. قلت: إسناده صالح في الشواهد.

الطريق الخامس: الصحابي ابن عكيم عن ابن مسعود

قال الطبري: حدثنا أحمد (بن إسحاق الأهوازي، صالح صدوق) قال: حدثنا أبو أحمد (الإمام الثقة محمد بن عبد الله الزبيري، خ م) قال: حدثنا شريك (القاضي، ثقة، ساء حفظه بأخرة، خ م)، عن هلال بن حميد (الوزان، وهو نفسه ابن مقلاص، ثقة)، عن عبد الله بن عُكَيْم (الجهني، صحابي صغير)، عن عبد الله (ابن مسعود رضي الله عنه)، أنّه كان يقول:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٤: ٣٨٥.

«اللهم إن كُنْت كتبتني في السعداء فأثبتني في السعداء، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب»[1]. قلت: إسناده حسن.

قال الألباني: رجاله ثقات لولا ضعف حفظ شريك؛ لكنّه يتقوى بطريق حماد بن سلمة (ثقة خ م)، عن خالد الحذاء (بن مهران ثقة خ م)، عن أبي قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي ثقة خ م)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه كان يقول: **« اللهم إنْ كنت كتبتني في أهل الشقاوة؛ فامحني، وأثبتني في أهل السعادة»**[2].

قلت: فهو -بطريقيه- حسن صحيح، ثابت الصحّة.

ومجموع هذه النصوص الصحيحة، نصٌّ أنّ المحو يعرض حتّى على ما هو المكتوب في اللوح المحفوظ، أو لوح التدبير، وقد أوضحنا أنّ القلم وإن جف على المحو أيضاً ؛ أي أنّ المحو مما قدره الله تعالى للتائبين من عباده قبل خلق الدنيا بخمسين ألف سنة..

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦ : ٤٨١. رقم: ٢٠٤٨١. مؤسسة الرسالة.

(٢) الضعيفة للألباني١١ : ٧٦٣، رقم: ٥٤٤٨. دائرة المعارف، الرياض.

كتابة اللوح وكتابة التدبير

أخرج أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله، وهو الصادق المَصْدُوق: «إنّ أحدكم يجْمَع خَلْقه في بطن أُمه أربعين يوماً، ثمّ يكون علقةً مثل ذلك، ثمّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثمّ يرسَل إليهْ الملَك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أم سعيد...».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[1].

قلت: صححه قاطبة أهل السنّة. وقد روينا مثله أو قريب منه، بأسانيد صحاح عن أهل البيت عليهم السلام، وسيأتي في الفصل اللاحق..

ولا ينبغي الشكّ أنّ هناك كتابين، الأول: هو اللوح المحفوظ، أو أمّ الكتاب، ذاك الذي قدر الله تعالى فيه مقادير الخلائق قبل كذا ألف سنة من خلق الدنيا. والثاني: كتاب التدبير، وهو الذي يضمّ كتابة الملائكة بأمر الله تعالى لما يجري على العبد، وإنّما أمر الله تعالى الملائكة بهذا؛ لأنّها هي

---

(١) مسند أحمد (ت: أحمد شاكر) ٣: ٥١٧، رقم: ٣٦٢٤. دار الحديث، القاهرة.

المباشرة في تدبير الخلق الطيني؛ فالله تعالى وإن كان هو المميت، لا مميت غيره إلاّ بإذنه، لكنّه هو من أوكل قبض الأرواح لعزرائيل عليه السلام؛ تحقيقاً لنظام الابتلاء في عالم الطين..

قال ابن تيمية: والجواب المحقق: أنّ الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة؛ فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإنْ عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب...؛ فلهذا قال العلماء: إنّ المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأمّا علم الله سبحانه فلا يختلف...[1].

قلت: وهو صريح في المطلوب، وسنعرض لاحقاً لتمام كلمته؛ لأهميتها، فارتقب.

---

(١) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم)١٤ : ٤٩٢ . مجمع الملك فهد، السعودية.

حديث عمر بن الخطاب في البداء

أخرج الطبري قال، حدثنا معاذ بن هشام (الربعي ثقة خ م) قال: حدثنا أبي (ثقة)، عن أبي حكيمة (عصمة العبدي، ثقة محله الصدق)، عن أبي عثمان النهدي (عبد الرحمن بن مل، ثقة خ م)، أنّ عمر بن الخطاب قال: وهو يطوف بالبيت ويبكي: «اللهم إنْ كنت كتبت عليَّ شقوة أو ذنباً فامحه، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت. وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح، رواته أهل صدق ثقات. يشهد له..

ما أخرجه الطبري قال: حدثنا معتمر (بن سليمان بن طرخان، ثقة خ م)، عن أبيه (سليمان بن طرخان ثقة)، عن أبي حكيمة، عن أبي عثمان قال: وأحسبني قد سمعته من أبي عثمان، مثله [2].

قلت: إسناده حسن صحيح.

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨١. رقم: ٢٠٤٧٨. مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨١. رقم: ٢٠٤٧٩. مؤسسة الرسالة.

وقال الطبري: قال معتمر: حدثنا أبو عامر قال، حدثنا قرة بن خالد، عن عصمة أبي حكيمة، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر رحمه الله، مثله[١]..

وقال الإمام الطبري في تفسيره أيضاً: حدثني المثنى (بن إبراهيم الآملي، مضى أنّه ثقة) قال، حدثنا الحجاج (بن المنهال الأنماطي، ثقة خ م) قال، حدثنا حماد (بن سلمة البصري إمام ثقة حافظ خ م) قال، حدثنا أبو حكيمة (صدوق صالح) قال: سمعت أبا عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول، وهو يطوف بالكعبة: « اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإنْ كنت كتبت علي الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب»[٢].

قلت: إسناده حسن.

وأخرجه الإمام أبو القاسم، هبة الله اللالكائي (٤١٨ هـ) في شرح أصول الاعتقاد قال: أخبرنا محمد بن عبيد الله بن جامع (ثقة مأمون)، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب (الجوجزاني ثقة صدوق)، قال: ثنا

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨١. رقم: ٢٠٤٨٠. مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨٣. رقم: ٢٠٤٨٥. مؤسسة الرسالة.

يعقوب بن شيبة (السدوسي ثقة)، قال: ثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي(ثقة م)، قال: ثنا حماد بن سلمة (البصري، ثقة عابد خ م)، قال: سمعت أبا حكيمة (عصمة العبدي ثقة صدوق)، قال: سمعت أبا عثمان النهدي (عبد الرحمن بن ملّ، ثقة خ م)، قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت يقول: **اللهم إنْ كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقوة فامحني منها واثبتني في السعادة، فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب**»[1].

يشهد له ما أخرجه اللالكائي أيضاً قال: أخبرنا أحمد بن عبيد (الواسطي ثقة)، قال: أخبرنا محمد بن الحسين (الزعفراني، ثقة)، قال: ثنا أحمد بن زهير (ابن أبي خيثمة، إمام فوق الوصف)، قال: ثنا موسى بن إسماعيل (التبوذكي ثقة خ م)، قال: ثنا حماد، به بلفظ: **اللهم إنْ كنت كتبتني شقياً فامحني**[2].

أقول: الإسناد الثاني صحيح دون كلام، والأول حسن. لهذا قال الإمام الألباني: ثبت عن عمر[3].

(١) شرح أصول إعتقاد أهل السنّة (ت: أحمد الغامدي) ٤: ٧٣٥، رقم: ١٢٠٧ .دار طيبة السعوديّة.
(٢) شرح أصول إعتقاد أهل السنّة (ت: أحمد الغامدي) ٤: ٧٣٤، رقم: ١٢٠٦ .دار طيبة السعوديّة.
(٣) الضعيفة للألباني١١ : ٧٦٣، رقم: ٥٤٤٨ . دائرة المعارف، الرياض.

تصاريح بعض أئمة السنّة في الشقاوة والسعادة

قال الإمام السلفي (لاحقاً، الأشعري الحنفي سابقاً، ١٣٠٧هـ) أبو الطيب محمد صديق خان البخاري في تفسيره المعروف:

وجميع ذلك على اختلاف دلالته متواتر؛ فليت شعري كيف ذهب جماعة من أهل العلم إلى مخالفة ذلك كلّه، وقالوا: إنّ أحكام الله وقضاءه في سابق علمه لا تتغيّر أصلاً؟!!. فإن استدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾، وما ورد في اللوح المحفوظ، وما كتب فيه، وأنّه قد جف القضاء، ونحو ذلك، فأي فائدة في مثل قوله عز وجل: ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ ؟!!. وأيّ فائدة في قوله عز وجل، مخبراً لعباده ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ ؟!!!.

ومن جهل هذا، أو بعضه، فلينظر في الدعوات المجابة من الصحابة رضي الله عنهم، وكما وقع من جماعة كثيرة من السلف رحمهم الله تعالى أنّهم كانوا يقولون في أدعيتهم: **اللهم إن كنت قد كتبتني في ديوان الأشقياء، فانقلني إلى ديوان السعداء**. بعبارات مختلفة هذه إحداها،

وبالجملة: فالكتاب العزيز والسنة المتواترة ترد عليهم رداً أوضح من شمس النهار[1].

وقال الإمام مرعيّ بن يوسف الحنبلي (١٠٣٣هـ) في الإتحاف: ذهب جمع كثير، وجم غفير، إلى أنّ العمر يزيد وينقص، وكذا القول في السعادة والشقاوة، والإيمان والكفر؛ تمسكا بظاهر هذه الآية الشريفة ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ...**﴾، وبه قال عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وأبو وائل (شقيق بن سلمة)، وكعب الأحبار، ومالك بن دينار وغيرهم، وهو قول الكلبي (الإمام المفسر محمد بن السائب)[2].

وقال الرازي: قالوا: إنّ الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذلك القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر، وهو مذهب عمر وابن مسعود. والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أنّ يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله[3].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن(ت: عبد الله الأنصاري) ١٤: ١٥٩. المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

(٢) إتحاف ذوي الألباب (ت: علي الأثري): ٣٠. منشورات منتديات كل السلفيين.

(٣) تفسير الرازي١٩: ٥١. إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن تيمية يصرّح بالبداء؛ محتجًا بحديث عمر

قال ابن تيمية: وقد يراد بالنقص النقص من العمر المكتوب كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب. وفي الصحيحين عن النبي أنّه قال: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره** [١]**، فليصل رحمه**» وقد قال بعض الناس: إنّ المراد به البركة في العمر بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلاّ في الكثير قالوا: لأنّ الرزق والأجل مقدران مكتوبان[٢].

فيقال لهؤلاء تلك البركة، وهي **الزيادة** في العمل والنفع، هي أيضاً **مقدرة مكتوبة**، وتتناول لجميع الأشياء[٣].

والجواب المحقق: أنّ الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب. وإنْ عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب[٤]. ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنّ آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته فأراه

---

(١) في بعض المصادر: «**أجله**» و أخرى: «**عمره**» والكلّ بمعنى، وسنعرض لذلك لاحقاً.

(٢) هذه هي شبهة منكري البداء، وهي تنافي تقدير الله قبل خلق الدنيا، مع المحو بعد خلق الدنيا.

(٣) هذا جواب الشبهة، وهو عين ما ذكره محققو السنة والشيعة، من أنّ الله تعالى قد قدّر المحو قبل خلق الدنيا، كما قدّر الإثبات، وفي هذا نصوص صحيحة عن النبي ﷺ ستأتي، فانتظر.

(٤) هو الذي اصطلح عليه علماء الفريقين: الأجل المعلّق؛ أي المشروط بسعي العبد وعمله. وهذا أيضاً مقدّر قبل خلق الدنيا.

إياهم فرأى فيهم رجلا له وبيص من نور فقال من هذا يا رب؟!. فقال ابنك داود. قال: فكم عمره؟!. قال أربعون سنة. قال: وكم عمري؟!. قال: ألف سنة. قال فقد وهبت له من عمري ستين سنة. فكتب عليه كتاب وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال قد بقي من عمري ستون سنة. قالوا: وهبتها لابنك داود. فأنكر ذلك فأخرجوا الكتاب [1]. وروي أنّه كمل لآدم عمره ولداود عمره. فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة، ثمّ جعله ستين، وهذا معنى ما روي عن عمر أنّه قال: «**اللهم إنْ كنت كتبتني شقياً فامحني، واكتبني سعيداً؛ فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت**».

قال (ابن تيمية): والله سبحانه عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له، وما يزيده إيّاه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلاّ ما علّمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها، وبعد كونها، فلهذا قال العلماء: إنّ المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأمّا علم الله سبحانه فلا يختلف **ولا يبدو له** ما لم يكن عالماً به، فلا محو فيه

---

(١) سنن الترمذي (ت: بشار) ٥: ١١٧، رقم: ٣٠٧٦. قال الترمذي: حسن صحيح.

ولا إثبات. وأمّا اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين. والله سبحانه وتعالى أعلم[١].

قلت: من أراد أن يقف على عقيدة الشيعة في البداء، فعليه بكلمة ابن تيمية هذه؛ فلسنا نقول -في الجملة- بغير ذلك، وإن اختلف لسان البيان..

وقد نبهنا في الفصل الأول إلى اختلاف العلماء في حدوث المحو؛ أهو في اللوح المحفوظ أم في كتب الملائكة؟! وقد قلنا: بعدم ترتب أيّ أثر عقدي على هذا، فالأصل هو حدوث المحو بإذن الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علماً، سواء أكان اسمه اللوح المحفوظ، أم أُمّ الكتاب؛ لما أوضحنا من أنّ كلاً من المحو والإثبات، لا يخرج عن تقدير الله الذي أحاط بكلّ شيء علماً، قبل خلق الدنيا وبعد خلق الدنيا..؛ فالجميع ممّا قد جف عليه القلم..

---

(١) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم) ١٤: ٤٩٠-٤٩٢. مجمع الملك فهد، السعودية.

وقفة مع حديث كعب الأحبار اليهودي

أخرج الطبري قال: حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج قال: حدثنا حماد، عن أبي حمزة (ميمون الأعمر، ضعيف الحديث يكتب حديثه)، عن إبراهيم (النخعي، إمام ثقة خ م)، أنّ كعباً قال لعمر رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة قال: وما هي؟!. قال: قولُ الله: ﴿يمحو الله ما يشاءُ ويثبت وعندَهُ أم الكتاب﴾[1].

قلت: إسناده ضعيف، وعلى فرض ثبوته عن كعب يلزم تأويله بأصول المغيّبات التي أخبر بها أنبياء الله تعالى، سيما نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقد روى السنّة والشيعة ذلك؛ أي ما تعلّق بالفتن وأشراط الساعة وغير ذلك من العلم المبذول للناس عن طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..؛ ممّا يدلّ عليه..

أخرج ابن حبان قال: أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي، قال: حدثنا مسدد، قال: حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة قال: « لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فحدثنا ما هو كائن بيننا وبين الساعة ما بي

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦ : ٤٨١. رقم: ٢٠٤٨١. مؤسسة الرسالة.

أقول لكم: إنّي كنت وحدي لقد كان معي غيري، حفظ ذاك من حفظه ونسيه من نسيه»[1].

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ويخسأ كهب اليهودي وأمثاله أن يكون قاصداً غير هذا!! وأياً كان ففي حديث كعب ظهور صريح في البداء..، وربما سنعرض إلى علم أهل البيت عليهم السلام، في هذا -في الفصل الثالث- لاحقاً مع الفسحة..

---

(١) صحيح ابن حبان (ت: الأرنؤوط) ١٥: ٦، رقم: ٦٦٣٧. الرسالة، بيروت.

حديث ثوبان عن النبيّ: (لا يرد القدر إلاّ الدعاء)

أخرج الحاكم (٤٠٥هـ) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، بهمدان، ثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، ثنا قبيصة بن عقبة، وأخبرنا أبو بكر بن أبي نصر الدرابردي بمرو، ثنا محمد بن غالب، ثنا أبو حذيفة، قالا: ثنا سفيان الثوري، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**لا يرد القدر إلاّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البر، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه [1].

وأخرجه أحمد قال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله: «**إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلاّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البر**».

---

(١) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر) ١: ٦٧٠، رقم: ١٨١٤. العلميّة، بيروت.

قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن[1].

وأخرجه الترمذي (٢٧٩هـ) قال: **باب ما جاء «لا يرد القدر إلاّ الدعاء»**.

قال: حدثنا محمد بن حميد الرازي، وسعيد بن يعقوب، قالا: حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يرد القضاء إلاّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البِرّ»**: وفي الباب عن أبي أسيد.

قال الترمذي: وهذا حديث حسن[2].

قلت: ثمة بعض المبتدئين في علوم النقد من أهل السنة، قد ضعّف الحديث بأبي مودود، ظنّاً منه أنّه الضعيف وليس الثقة، ومصيبة المصائب أن يتفيقه المبتدئ من على منابر الوعظ، دون إحاطة وفهم، أو أدنى مراجعة..

---

(١) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣٧: ٦٨، رقم: ٢٢٣٨٦. الرسالة، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٤: ١٦، رقم: ٢١٣٩.

حسبنا الآن الإمام المشهور، الحنفي الطحاوي (٣٢١هـ) فلقد قال: ذيل الحديث أعلاه: أبو مودود، هو عبد العزيز بن أبي سليمان مولى هذيل، وهو عند أهل الحديث: ثقة[١].

قال ابن تيمية: والجواب المحقق: أنّ الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة؛ فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإنْ عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب[٢].

وقد مرّت كلمة ابن تيمية أيضاً أنّ الزيادة والنقيصة في الأعمار، هي من قدر الله تعالى وتقديره، لا يخرجان عن ذلك..

الزبدة: حديث ثوبان صريح في حقيقة البداء.

---

(١) شرح مشكل الآثار (ت: شعيب الأرنؤوط) ٨: ٧٨، رقم: ٣٠٦٨. الرسالة، بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم) ١٤: ٤٩٢. مجمع الملك فهد، السعودية.

الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) يدفع شبهة التنافي

قال الإمام الطحاوي:... عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزيد في العمر إلاّ البر، ولا يرد القضاء إلاّ الدعاء**»...، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع رسول الله يقول: «**من سره أن ينسأ له في أثره، ويوسع عليه في رزقه، فليصل رحمه**».

ويروى عن رسول الله: «**أنّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق نسمة أمر الملك بأربع كلمات: رزقها، وأجلها، وعملها، وشقي أو سعيد**» في حديث ابن مسعود. وفي حديث حذيفة بن أسيد مثل ذلك وزيادة عليه، وهي: «فلا يزاد على ذلك ولا ينقص منه».

قال الإمام الطحاوي: وهذا اختلاف شديد؛ فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: إنّ هذا ممّا لا اختلاف فيه، إذ كان قد يحتمل أن يكون الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النسمة، جعل أجلها إنْ برت كذا، وإنْ لم تبر كذا، لما هو دون ذلك، وإنْ كان منها الدعاء رد عنها كذا ، وإنْ لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا ، وإنْ عملت كذا حرمت كذا ، وإنْ لم

تعمله رزقت كذا، ويكون ذلك ممّا يثبت في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص منه، وفي ذلك بحمد الله التئام هذه الآثار واتفاقها[1].

قلت: هذا هو عين الذي قاله ابن تيمية الحرّاني فيما نقلنا عنه قبل قليل، وعلى هذا جمهور أهل السنة هداهم الله، ناهيك عن إجماع الشيعة أنار الله برهانهم وسدد رميتهم.

---

(١) شرح مشكل الآثار (ت: شعيب الأرنؤوط) ٨: ٧٨، رقم: ٣٠٦٨. الرسالة، بيروت.

ابن عبّاس: يمحو الله ما قدّره بالدعاء

أخرج مسلم في صحيحه قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبوهانيء الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله، يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام، وقوله عرشه على الماء، أي قبل خلق السماوات والأرضين، وكتب الله المقادير، أي في اللوح المحفوظ، لا العلم بالتقدير؛ إذ الله سبحانه وتعالى عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه وتعالى.

لكن لا يسوغ التمسك بإطلاقه، لما أخرجه الحاكم قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، ثنا حامد بن محمود، ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، ثنا حنظلة، عن طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر**».

---

(١) صحيح مسلم (ت: فؤاد عبد الباقي) ٤: ٢٠٤٤، رقم: ٢٦٥٣ .إحياء التراث العربي، بيروت.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي[1].

قلت: وهو نصٌّ أنّ الله تعالى قد قضى أن يمحو ما قدّره على العباد بالدعاء، وهذا هو البداء الذي نقوله ونعتقده بلحمه وشحمه وعظمه.

ولا منافاة بين الحديثين إطلاقاً ؛ فإنّهما يجمعان بأنّ الله تعالى قد قدّر قبل خلق السماوات، أن يمحو ما قدّر - بعد خلقها- بالدعاء، والله يفعل ما يشاء.

الإمام عاصم الكوفي يحكي الإجماع على هذا !!

قال الإمام عبيد الله بن محمّد بن بطة العكبري (٣٨٧هـ): قال الإمام المقرىء عاصم بن بهدلة الكوفي (١٢٧هـ): كان أصحابنا يقولون: إنّ الله عز وجل يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر[2].

وعاصم الكوفي من أجلّة أهل الإسلام؛ وكلّ أهل القبلة تقريباً منذ عهد أتباع التابعين حتى اليوم يقرأون القرآن بقراءته المشهورة من طريق

---

(١) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٨٠. رقم: ٣٣٣٣. العلمية، بيروت.

(٢) الإبانة الكبرى (رضا معطي وآخرون) ٤: ٣٥. رقم: ١٤١٩. دار الراية، الرياض.

حفص، وهي القراءة التي في مصاحف العراق ومصر والسعوديّة وغيرها..

وقد مرّت تصاريح بعض العلماء في أنّ هذا التقدير الإلهي هو في علم الله الأزلي الثابت، تقدير معلّق على سعي العبد..، إنْ وصل رحمه مثلاً زاد أجله، وإن لم يفعل نقص، يشهد له العنوان الآتي..

الفرار من قدر الله إلى قدر الله، وكلاهما مكتوب

حديث الرقية!!.

ما أخرجه الترمذي قال: حدثنا ابن أبي عمر، قال: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن أبي خزامة، عن أبيه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟!. قال النبيّ: «**هي من قدر الله**».

قال الترمذي: هذا حديث حسن[1].

حديث عمر في الوباء، فرار من قدر الله إلى قدر الله تعالى

وأخرج البخاري قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن عبد الله بن عباس: أنّ عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بأرض الشام...، فنادى عمر في الناس: إنّي مصبح على ظهرٍ فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟!.

---

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٣: ٤٦٨. رقم: ٢٠٦٥. الغرب الإسلامي، بيروت.

فقال عمر: «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟!. نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله...»[1].

قلت: وهو نصّ أنّ قدر الله تعالى وقضائه، وما كتب في اللوح على قسمين، كلاهما في علم الله لا يعزبان عنه تعالى، أحدهما: ثابت في أم الكتاب، والآخر معلّق في كتاب المحو، متغيّر بسعي العباد..، وسيأتي عن حبر الأمّة ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الكتاب كتابان، كما ذكرنا أكثر من مرّة، فارتقب.

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٧: ١٣٠.رقم: ٥٧٢٩، دار طوق النجاة.

الإمام الغزالي يدفع شبهة تنافي التقدير مع المحو

قال الإمام الغزالي (٥٠٥هـ): فإن قيل: ما فائدة الدعاء مع أنّ القضاء لا مرد له؟!.

فاعلم أنّ من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أنّ الترس سببٌ لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أنّ الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أنْ لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر..!!

فيقال: إنْ سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإنْ لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات، على تفاصيل الأسباب، على التدريج والتقدير، هو القدر، والذي قدّر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لدفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته[1].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣: ٥٩٢. دار الكتاب العربي، بيروت.

وقفة مع حديث ابن عباس إلاّ الشقاوة والسعادة

أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩١هـ) في السنّة قال: حدثني أبي، نا وكيع، نا ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ قال: «**إلاّ الشقاء والسعادة والحياة والموت**»[1].

قلت: إسناده ضعيف، فرجاله وإن كانوا ثقاةً، لكن أجمع أهل النقد؛ أنّ ابن أبي ليلى وإنْ كان ثقة لا يكذب، لكنّه ضعيف الحديث، ليس بالقويّ فيه، سيّء الحفظ، فاحش الخطأ، بل قد قال الحاكم: عامّة أحاديثه مقلوبة. وقد انفرد باللفظ أعلاه، فلا يطمئن بصدوره، ثمّ هو معارض..

بما أخرجه الإمام هبة الله بن الحسن، أبو القاسم اللالكائي (٤١٨هـ) قال: أخبرنا الحسن (بن عثمان الواعظ، لا بأس به، معتمد) قال: أخبرنا أحمد بن حمدان (مقبول حسن الحديث) قال: ثنا بشر (بن موسى الأسدي، إمام حافظ ثقة) قال: ثنا معاوية (بن عمرو الأزدي، حافظ ثقة خ م) قال: ثنا أبو إسحاق (إبراهيم بن محمد الفزاري، إمام حافظ ثقة خ م)، عن سفيان، عن المنهال بن عمرو (الأسدي ثقة خ)، عن سعيد بن جبير (الإمام المفسر الثقة الفقيه خ م)، عن ابن عباس في قوله عز

(١) السنة (ت: محمد القحطاني) ٢: ٤١١، رقم: ٨٩٧. دار ابن القيّم، الدمام.

وجل: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب قال: «**الشقاء والسعادة والموت**»[1].

قلت: إسناده مقبول. ويمكن الجمع بين الحديثين، بأنّ ما كان محتوماً لا يمحى، وما كان معلقاً مشروطاً يمحى، وسيأتي عن ابن عبّاس أنّ لله تعالى كتابين، أحدهما: أم الكتاب، وفيه علم الله تعالى بالخواتيم، والثاني: كتاب المحو، المعلّق على سعي العبد واختياره..، وقد قضى الله بكليهما في القرآن..

---

(١) شرح أصول أهل السنة (ت: أحمد الغامدي) ٣: ٦٠٩، رقم: ٩٧٤. دار طيبة، السعوديّة.

دعاء إمامنا الحسن عليه السلام: (وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ)

أخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) قال: حدثنا وكيع حدثنا يونس بن أبي إسحق عن بريد بن أبي مريم السلولي عن أبي الحوراء عن الحسن بن علي: قال: علمني رسول الله كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت، وعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقضى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[1].

قلت: الحديث صحيح بإجماع أهل السنّة، له أكثر من طريق. وهو نص أنّ الله تعالى قد قضى أنّ يغيّر شرّ قضائه بالدعاء..، وهذا بداء..

ولا يقال: بأنّ الشرّ لا يقع من الله تعالى، بل من العبد؟!!!.

قلنا: بلى، لكنّه لا يقع إلاّ بإذنه سبحانه، غير خارج عن سلطانه وقدرته وعلمه وحكمته وإيجاده، بل لا يمكن للشرّ أن يوجد لولا قضاء الله تعالى في إيجاده لحكمة الابتلاء..، غاية الأمر أنّ العبد قد اختاره، وبإيجاز فالله خالق كلّ شيء..، وقبّح الله مقالة قدريّة هذه الأمّة الذين نفوا

---

(١) مسند أحمد (ت: أحمد شاكر) ٢: ٣٤٣، رقم: ١٧١٨. دار الحديث، القاهرة.

أن تكون الشرور بإذن الله تعالى؛ وكأنّ هناك إلهاً ثانياً يأذن بصدور الشرور، غيره سبحانه، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً..

ويهون الخطب أنّ هؤلاء الضالين لا وجود لهم اليوم في أكبر ظنّي، وهم فرقة من المعتزلة الأوائل، قد انقرضوا..

صلة الرحم تغيّر الآجال

أخرجه البخاري قال: حدثنا محمد بن أبي يعقوب الكرماني، حدثنا حسان، حدثنا يونس، قال محمد هو الزهري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1].

قلت: إسناده صحيح و: « ينسأ له في **أثره**» أي **أجله**، يدلّ على ذلك..

ما أخرجه الإمام ابن حبان (٣٥٤ هـ) في صحيحه قال: أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا كامل بن طلحة الجحدري، قال: حدثنا ليث بن سعد، عن عقيل، عن ابن شهاب، أنّه سمع أنس بن مالك، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أحب أن ينسأ له في أجله، ويبسط له في رزقه، فليصل رحمه**».

(١) صحيح البخاري (ت: زهير النار) ٣: ٥٦، رقم: ٢٠٦٧. دار طوق النجاة.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، غير كامل بن طلحة الجحدري، فقد وثقه المؤلف وأحمد والدارقطني، وقال أبو حاتم وغيره: لا بأس به [١].

قلت: أشكل البعض أنّ هذا -في ظاهره- ينافي قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٢].

قلت: جوابه في قوله تعالى: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[٣]؛ ضرورة وجود أجلين؛ فأجل لا يعلمه إلاّ الله تعالى مكتوب في اللوح أو أمّ الكتاب، وآخر معلّق على اختيار العباد طاعة أو معصية..

جواب الإمام، ابن بطال (٤٤٩هـ)

قال علي بن خلف، ابن بطال: فإن قيل: هذا الحديث يعارض قوله عليه السلام: **«يجمع خلق أحدكم في بطن أمّه أربعين يوماً مضغة..، فيكتب رزقه وأجله»**. قال المهلب: اختلف العلماء في وجه الجمع بينهما على قولين:

---

(١) صحيح ابن حبان (ت: شعيب الأرنؤوط) ٢: ١٨٠، رقم: ٤٣٨ .

(٢) سورة الأعراف: ٣٤.

(٣) سورة نوح: ٣-٤.

فقيل: معنى البسط في رزقه هو البركة؛ لأنّ صِلَتَه أقاربه صدقة، والصدقة تُربي المال وتزيد فيه، فينمو بها ويزكو. ومعنى قوله: «وينسأ في أثره» أي: يبقى ذكره الطيب وثناؤه الجميل مذكوراً على الألسنة، فكأنّه لم يمت....

والقول الثاني: أنّه يجوز أن يكتب في بطن أمه أنّه إنْ وصل رحمه فإنّ رزقه وأجله كذا، وإنْ لم يصل رحمه فكذا، بدلالة قوله تعالى في قصة نوح: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ يريد أجلاً قد قضى به لكم إنْ أطعتم، يؤخركم إليه؛ لأنّ أجل الله إذا جاء في حال معصيتكم، لا يؤخر عنكم..

قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ وهو الهلاك على الكفر ﴿ **وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ فهذا كلّه من المكتوب في بطن أمّه، أيّ الأجلين استحق لا يؤخر عنه، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾؛ وقد روى عن عمر بن الخطاب ما هو تفسير لهذه الآية؛ فقد روى أنّه كان يقول في دعائه: «**اللهم إن كنت كتبتني عندك**

شقياً، فامحني واكتبني سعيداً، فإنّك تقول: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[1].

قلت: واضح أنّ الإمام ابن بطال مائل للقول الثاني، وهو الراجح بل المتعيّن ؛ إذ الأوّل متكلف خلاف الظاهر..؛ يشهد لميلانه تصريحه في دفع شبهة التنافي المارّة ؛ فهاك قوله صريحاً فصيحاً..

الإمام ابن بطال يدفع شبهة تنافي علم الله مع البداء

قال في موضع آخر من شرحه: فإنْ قيل كيف يُنسأ له في أجله، وقد قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[2]، وقال النبي: «إنّ ابن آدم يكتب في بطن أمه أثره وأجله ورزقه»؟!.

فالجواب: أنّه إنْ فعل ذلك به جزاءً له على ما كان له من العمل الذي يرضاه، فإنّه غير زائد في علم الله تعالى شيئاً لم يكن له عالماً قبل تكوينه، ولا ناقص منه شيئاً، بل لم يزل عالماً بها العبد فاعل وبالزيادة التي هو زائد

---

(١) شرح ابن بطال (ت: ياسر إبراهيم) ٦ : ٢٠٦ . مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) سورة الأعراف: ٣٤.

في عمره، بصلة رحمه، والنقص الذي هو بقطعه رحمة من عمره، ناقص قبل خلقه لا يعزب عنه شيء من ذلك[١].

الإمام القسطلاني (٩٢٣هـ) يدفع شبهة التنافي

قال الإمام أحمد بن محمد القسطلاني: معنى البسط في الرزق، البركة فيه؛ إذ الصلة صدقة وهي تربي المال، وتزيد فيه، فينمو بها، وفي العمر حصول القوّة في الجسد، أو يبقى ثناؤه الجميل على الألسنة، فكأنه لم يمت (هذا قول).

و(القول الثاني) بأنّه يجوز أن يكتب في بطن أمه، إنْ وصل رحمه فرزقه وأجله كذا، وإنْ لم يصل رحمه فكذا.

وفي كتاب الترغيب والترهيب للحافظ أبي موسى المديني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي أنه قال: «**إنّ الإنسان ليصل رحمه، وما بقي من عمره إلاّ ثلاثة أيام، فيزيد الله تعالى في عمره ثلاثين سنة، وإنّ الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فينقص الله تعالى عمره حتى لا يبقى منه إلاّ ثلاثة أيام**» ثمّ قال: حديث حسن[٢].اهـ.

---

(١) شرح ابن بطال (ت: ياسر إبراهيم) ٦ : ٢٠٦. مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني ٤ : ١٧. الأميريّة الكبرى، مصر.

قلت: وقد رجّح القول الثاني ؛ فلقد قال تحت باب دعوة النبي لأنس بطول العمر، ما نصّه:

فما معنى دعائه له بطول العمر، وقد علم أنّ الآجال لا يزاد فيها ولا ينقص منها، على ما كتب في بطن أمّه؟!.

قيل: معنى ذلك والله أعلم أنّ الله تعالى يكتب أجل عبده، إنْ أطاع الله واتقاه فيكون عمره مدة كذا، فإنْ لم يطع الله وعصاه كان أجله أقل منها؛ يدل على صحة ذلك قوله عز وجل في قصة نوح حين قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يريد أجلاً قد قضى به لكم إن أطعتم، فإنْ عصيتم لم يؤخركم إلى ذلك الأجل، وكلٌّ قد سبق في علم الله مقدار أجله، على ما يكون من فعله. قال ابن قتيبة: ومثله ما روي أن «**الصدقة تدفع القضاء المبرم**»، وأنّ «**الدعاء يدفع البلاء**» وقد ثبت أنّه لا راد لقضاء الله، ومعنى ذلك أنّ المرء قد يستحق بالذنوب قضاء العقوبة، فإنْ هو تصدق دفع عن نفسه ما استحق من ذلك، وكذلك الدعاء يرتفع إلى الله تعالى فيوافق البلاء نازلاً

من السماء فيزيله ويصرفه، **وكلّ ذلك قد جرى به القلم** في علم الله تعالى، أنّه إن تصدّق أو دعا، صرف الله عنه غضبه وبلاؤه[1].

الرازي (٦٠٦هـ): المحو والإثبات، مما جف به القلم

فإن قال قائل: ألستم تزعمون أن المقادير سابقة، قد جف بها القلم وليس الأمر بأنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والإثبات؟!.

قلنا: ذلك **المحو والإثبات أيضاً ممّا جف به القلم**، فلا يمحو إلاّ ما سبق في علمه وقضائه محوه[2].

القرطبي (٦٧١هـ): المحو والإثبات مما سبق به القضاء

قال في تفسيره: والعقيدة أنّه لا تبديل لقضاء الله، **وهذا المحو والإثبات ممّا سبق به القضاء**، وقد تقدم أنّ من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً، وهو الثابت، ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب، وهو الممحو.

وقال الغزنوي[3]: وعندي أنّ ما في اللوح، خرج عن الغيب؛ لإحاطة بعض الملائكة، فيحتمل التبديل؛ لأنّ إحاطة الخلق بجميع علم الله محال،

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني ١٠: ١٠٧. الأميرية الكبرى، مصر.

(٢) تفسير الرازي ١٩: ٥٢. إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) الملقب بتاج الشريعة، عليّ بن إبراهيم، فقيه حنفي مفسر توفي سنة: ٥٨٢هـ.

وما في علمه من تقدير الأشياء لا يبدل ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصل ما كتب من الآجال[1].

الخازن (٧٤١هـ): المحو والإثبات ممّا جف به القلم

قال الإمام علي بن إبراهيم الخازن في تفسيره: فإنْ قلت مذهب أهل السنة أنّ المقادير سابقة، وقد جفّ القلم بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات؟!.

قلت: المحو والإثبات ممّا جف به القلم وسبق به القدر، فلا يمحو شيئاً ولا يثبت شيئاً إلاّ ما سبق به علمه في الأزل، وعليه يترتب القضاء والقدر[2].

الطيبي (٧٣٤هـ): ما يتطرق إليه المحو والإثبات.

قال الإمام الحسين بن عبد الله الطيبي في شرح المشكاة: اعلم أنّ لله تعالى في خلقه قضائين، مبرماً ومعلقاً..

---

(١) تفسير القرطبي (ت: أحمد البردوني) ٩: ٣٣٢. دار الكتب المصريّة، القاهرة.
(٢) تفسير الخازن (ت: محمد علي شاهين) ٣: ٢٤. العلميّة، بيروت.

أمّا القضاء المعلّق: فهو عبارة عمّا قدره في الأزل معلقاً بفعل، كما قال: إن فعل الشيء الفلاني كان كذا وكذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا فهو من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات، كما قال الله تعالى في محكم خطابه: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾.

أمّا القضاء المبرم: فهو عبارة عمّا قدره سبحانه في الأزل، من غير أن يعلّقه بفعل، فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ، بحيث لا يتغير بحال، ولا يتوقف على المقضى عليه، ولا المُقضى له؛ لأنّه من علمه بما كان وما يكون، وخلاف معلومه مستحيل قطعاً، وهذا ممّا لا يتطرق إليه المحو والإثبات..؛ قال الله تعالى: ﴿لا معقب لحكمه﴾ فقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا قضيت قضاء فلا يرد» من القبيل الثاني، ولذلك لم يجب إليه[1].

(١) شرح المشكاة للطيبي ١١: ٣٦٣٨، رقم: ٥٧٥١. نزار الباز، مكة المكرمة.

النيسابوري (٨٦٥هـ): المحو والإثبات من جملة ما قضى الله به

قال الإمام نظام الدين، الحسن بن محمد النيسابوري: والمحو ذهاب أثر الكتابة ونحوها. وفي الآية قولان: الأول أنّها عامة، وأنّه سبحانه يمحو من الرزق، ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل، والسعادة والشقاوة، والإيمان والكفر، وهو مذهب عمر وابن مسعود، وقد رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والذاهبون إليه كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله في أن يجعلهم سعداء إن كانوا أشقياء وهذا لا ينافي قول النبي: «**جف القلم**» لأنّ **المحو والإثبات أيضاً من جملة ما قضى به**[1].

الشوكاني (١٢٥٠هـ): المحو والإثبات من جملة القضاء

قال: فالمراد من الآية أنّه يمحو ما يشاء، ممّا في اللوح المحفوظ فيكون كالعدم، ويثبت ما يشاء ممّا فيه، فيجري فيه قضاؤه وقدره، على حسب ما تقتضيه مشيئته، وهذا لا ينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: «**جف القلم**» وذلك لأنّ **المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله** سبحانه[2].

---

(١) تفسير النيسابوري (ت: عميرات) ٤: ١٦٥. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فتح القدير ٣: ١٠٦. دار ابن كثير، دمشق.

قلت: وأقوال أئمة أهل السنة في هذا لا تحصى، لا يسعها مختصر مقامنا.

تفسير قول النبي ﷺ: «كلٌّ ميسرٌ لما خلق له»

أخرجه الإمام مسلم النيشابوري قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا أبو الزبير، ح وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟!. أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟!.

قال النبي عليه السلام: **«لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير»**.

قال: ففيم العمل؟!. قال زهير: ثمّ تكلّم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟!.

فقال النبي عليه السلام: **«اعملوا فكلٌّ ميسّرٌ»**[1].

وأخرجه أحمد قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: كان رسول الله ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به، قال: فرفع رأسه فقال: «ما منكم من

---

(١) صحيح مسلم(محمد فؤاد عبد الباقي) ٤ : ٢٠٤٠، رقم: ٢٦٤٨. إحياء التراث العربي، بيروت.

نفس إلاّ وقد علم منزلها من الجنّة والنار» قال: فقالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟!. قال: «اعملوا، فكلٌّ ميسر لما خلق له: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين[1].

قلت: هذا الحديث الشريف، ممّا قد اعتاص على كثير من العلماء، مع أنّ تفسيره واضح لمن تأمله من الحذّاق.

وتفسيره بإيجاز: أنّ النبيّ صلوات الله عليه وعلى آله، أراد إبطال قول الجبريّة والمعتزلة القدريّة بسطر واحد، وإثبات أنّ الله تعالى عالم بما كان وما يكون، قد أحاط بكلّ شيء علماً، لا يعزب عنه مثال ذرة ..

فأمّا إبطال قول الجبريّة ؛ فلأنّ قول النبيّ: « كلّ ميسّر» مع قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ نصّ في الاختيار والتخيير التكوينيين..

(١) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٢: ٥٦، رقم: ٦٢١. الرسالة، بيروت.

وإمّا إبطال قول القدريّة القائلين أنّ الشرّ غير مقدّر من قبل الله تعالى، فلقول النبي عليه السلام: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**» خيراً كان العمل أم شرّاً ؛ فكلاهما قد قدّرهما الله تعالى ؛ أي لا يخرجان عن سلطانه؛ ولا يوجدان إلاّ بعلمه ومشيئته وقدره وقضائه وإمضائه وإذنه..

الزبدة: المحو كالإثبات، ممّا قد جف القلم عليه أيضاً، وهو ميسّر لكل الخلائق بالدعاء والعمل الصالح؛ نظيره الفرار من قدر الله إلى قدر الله، ضرورة أنّ كليهما لا يخرجان عن سلطان الله تعالى.

ولقد أجاد الإمام ابن حجر العسقلاني في قوله: وهذا الحديث، أصل لأهل السنة في أنّ السعادة والشقاء بتقدير الله القديم، وفيه رد على الجبرية؛ لأنّ التيسير ضد الجبر؛ لأنّ الجبر لا يكون إلاّ عن كره، ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير...، وفي أحاديث هذا الباب أنّ أفعال العباد وإن صدرت عنهم، لكنّها قد سبق علم الله بوقوعها بتقديره؛ ففيها بطلان قول القدرية صريحاً[1].

---

(١) فتح الباري ١١: ٤٩٧.

الزيدة: فالتيسير في الحديث على قسمين:

الأول: تيسير الله تعالى الخير، لمن أراد عمله من العباد، وهو نصّ الآية: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

الثاني: تيسير الله تعالى الشرّ، لمن أراد عمله من العباد، وهو نص الآية: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

هذا هو تفسير الحديث، فالمقصود منه إبطال قول الجبريّة والقدريّة، ولا داعي لارتباك بعض العلماء فيه..، كما أنّه ملتئم تمام الالتئام مع البداء..، وسيأتي عن أهل البيت ﷺ أنّ معنى الحديث: كلّ الخلائق ميسرون لعبادة الله سبحانه وتعالى.. ؛ فانتظر.

كلمة تامّة لابن القيّم الجوزيّة (٧٥١هـ)

قال في كتابه الشفاء: وممّا ينبغي أن يُعلم أنّه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل (على القلوب)، حصول الإيمان؛ بأن يفكّ الذي ختم على القلب...، ويهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيّه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه، التي هي بيده؛ فحتّى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر، لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان....

وكان عمر يقول في دعائه: «**اللهم إنْ كنت كتبتني شقياً فامحني، واكتبني سعيداً؛ فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت**» فالرب تعالى فعال لما يريد لا حجر عليه.

وقد ضل ههنا فريقان:

القدرية: حيث زعمت أنّ ذلك ليس مقدوراً للرب، ولا يدخل تحت فعله؛ إذ لو كان مقدوراً له ومنعه العبد، لناقض جوده ولطفه.

والجبرية: حيث زعمت أنّه سبحانه إذا قدّر قدراً، أو علم شيئاً، فإنّه لا يغيّره بعد هذا، ولا يتصرف فيه، بخلاف ما قدّره وعلمه.

والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر أحد أصلاً، وجميع خلقه تحت حجره شرعاً وقدراً، وهذه المسألة من أكبر مسائل القدر، وسيمر بك إن شاء الله في باب المحو والإثبات، ما يشفيك فيها، والمقصود أنّه مع الطبع والختم والقفل، لو تعرض العبد، **أمكنه فك ذلك الختم والطابع**، وذلك القفل يفتحُه من بيده مفاتيح كل شيء، وأسباب الفتح مقدورة للعبد، غير ممتنعة عليه[1].

قلت: فهذا هو التفسير التام لقوله ﷺ: «**كلٌ ميسرٌ لما خلق له**» يشهد له ما سيأتي في الفصل الثاني بإسناد صحيح عن مولانا الكاظم عليه السلام ببيان ليس بعده بيان، فارتقب.

---

(١) شفاء العليل: ٩٠. دار المعرفة، بيروت، لبنان.

تصاريح العلماء: الأجل أجلان، والقضاء قضاءان

قال جلّ علماء الأئمّة – واللفظ لابن تيمية –: قوله تعالى: ﴿ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ فهذا الأجل الذي هو أجل الموت ﴿قضى أَجَلاً ﴾، قد يُعلمه الله لمن شاء من عباده، وأمّا أجل القيامة الـ: ﴿مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فلا يعلمه إلاّ هو[1].

قال الإمام الحنفي الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ): قوله عز وجل: ﴿ ثمّ قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده ﴾[2]، فالإشارة بالأجل الأول ﴿ قضى أجلاً ﴾ إلى ما في اللوح المحفوظ، وما عند ملك الموت وأعوانه، وبالأجل الثاني ﴿ وأجل مسمّى﴾ إلى ما في قوله تعالى: ﴿ عنده أم الكتاب ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[4].

قال الهروي: والحاصل، إنّ القضاء المعلق يتغيّر، وأمّا القضاء المبرم فلا يبدل ولا يغير[5].

---

(١) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم)١٤: ٤٩٢. مجمع الملك فهد، السعودية.

(٢) سورة الأنعام: ٢.

(٣) سورة الرعد: ٣٩.

(٤) سورة يونس: ٤٩.

(٥) شرح مرقاة المفاتيح ٤: ١٥٢٨. رقم: ٢٢٣٣. دار الفكر، بيروت.

قلت: أصله في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

ولا بد من الإشارة إلى أنّ نفس القضاء المبرم على قسمين؛ فتارة يلحقه الإمضاء، وتارة لا، وسيأتي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام في الفصل اللاحق..

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[2]. وقال نوح لقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[3].

قال الإمام سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ) في الآية: وهو دليل ثبوت أجلين[4].

---

(١) سورة فاطر: ١١.

(٢) سورة الأنعام: ٢.

(٣) سورة نوح: ٤.

(٤) أبكار الأفكار ٢: ٢١٥. دار الكتب والآثار القومية، القاهرة.

قلت: والأقوال في هذا كثيرة، حسبنا ما سردناه وعرضناه، عليه قاطبة جمهور أهل السنّة فيما أعلم، وإن شذّ مخالف فيهم، فلا عبرة به؛ لشذوذه..

ابن عبّاس: كتابان: أم الكتاب، وكتاب المحو

أخرج الحاكم (٤٠٥هـ) قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا روح بن عبادة، ثنا حماد بن سلمة، عن سليمان التيمي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله عز وجل: ﴿**يمحو الله ما يشاء**﴾[1] قال: من أحد الكتابين. هما كتابان: ﴿**يمحو الله ما يشاء**﴾ من أحدهما ﴿**ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ أي جملة الكتاب.

قال الحاكم: قد احتج مسلم بحماد واحتج البخاري بعكرمة. وهو غريب صحيح من حديث سليمان التيمي ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي[2].

قال الطبري: حدثنا أبو عامر (عبد الملك بن عمرو القيسي، ثقة خ م) قال: حدثنا حماد بن سلمة (إمام ثقة خ م)، عن سليمان التيمي (سليمان بن طرخان، ثقة ثبت خ م)، عن عكرمة (ثقة إمام في التفسير، متهم كونه خارجياً م)، عن ابن عباس رحمه الله مثله[3].

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٨٠. رقم: ٣٣٣٢. العلمية، بيروت.

(٣) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨٠. رقم: ٢٠٤٧٥. مؤسسة الرسالة.

قال الإمام الطبري (٣١٠هـ) حدثني المثنى (ثقة) قال، حدثنا الحجاج قال: حدثنا حماد، عن سليمان التيمي، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله[1].

قلت: إسناده صحيح.

وقد أعلنّا سابقاً أنّه لا ثمرة علميّة فيما فيه المحو من الكتب، أهو اللوح المحفوظ أم هو أمّ الكتاب ؛ والاحتياط يقضي بالمصير إلى قول ابن عبّاس، من أنّ الكتاب الذي لا محو فيه هو أمّ الكتاب؛ سيما أنّه مروي عن أهل البيت عليهم السلام كما سنرى لاحقاً..؛ لكن على أي تقدير، فلقد جفّ القلم على القضاء بالمحو والبداء في أمّ الكتاب..، فاحفظ..

أحاديث بعض التابعين أنّ الكتاب كتابان

قال الطبري: حدثنا محمد بن عبد الأعلى (القيسي ثقة م) قال، حدثنا المعتمر بن سليمان (بن طرخان التيمي، ثقة خ م)، عن أبيه (، ثقة خ م)، عن عكرمة قال: الكتاب كتابان، ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[2].

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨٠. رقم: ٢٠٤٧٣. مؤسسة الرسالة.

(٢) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦: ٤٨٠. رقم: ٢٠٤٧٦. مؤسسة الرسالة.

قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وهما: كتاب القضاء المبرم الممضى من قبل الله تعالى وهو أم الكتاب، وثانيهما: كتاب المحو المتضمّن لقضاء الله المعلّق قبل الإمضاء، وكلاهما مقدّران بتقدير الله الذي أحاط بكلّ شيء علماً.

أي أنّ كلاً من القضائين ممّا قد جفّ به القلم.

وأخرج الطبري قال: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا سهل بن يوسف قال: حدثنا سليمان التيمي، عن عكرمة مثله [1].

قلت: إسناده صحيح.

---

(١) تفسير الطبري (ت: الإمام أحمد محمد شاكر) ١٦ : ٤٨٠. رقم: ٢٠٤٧٤. مؤسسة الرسالة.

الفصل الثالث
ما رواه الشيعة في البداء

البداء ظهور من الله وله سبحانه

ذكرنا في الفصل الأوّل -ولا بأس بالتذكرة- أنّ معنى البداء لغة هو الظهور.

كما قد ذكرنا أنّ موجز معنى البداء في الاصطلاح هو:

إظهار الله تعالى، ما كان في سابق علمه الأزلي، ما خفي على عباده، ممّا لا يحتسبون ظهوره، إلى الوجود.

لقوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[1].

لكن -وقد نبهنا عليه في الفصل الأوّل- أنّ حقيقة البداء هي مجموع ظهورين انضماميين أو اتحاديين، وليس ظهور واحد لله كما هو المشتهر خطأً..؛ كالآتي:

---

(١) سورة الزمر: ٤٧.

الأول: ظهور لله تعالى.

الثاني: ظهور منه سبحانه.

يدلّ عليهما معاً قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ وقد أجمع مفسرو السنة والشيعة أنّ ﴿ حتى نعلم ﴾ أي حتى يظهر لنا فعل العبد موجوداً في الخارج، طاعة أو معصية؛ فإذا ظهرت الطاعة أو المعصية لله تعالى خارجاً، أظهر الله تعالى ثوابه أو عقابه، تشريعاً أو تكويناً بناءً عليها..؛ ومن ذلك في التكوينيّات قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1]. وفي التشريعيات: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[2].

وبعبارة أخرى: فالبداء هو النسخ في التشريع والتكوين، وهما مترتبان على أفعال العباد، طاعة أو معصية.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) سورة النساء: ١٦٠.

الزبدة: فالبداء ظهور لله تعالى، وظهور منه سبحانه، ومثلنا لذلك بقصّة النبي يونس عليه السلام وقومه..؛ فالله تعالى لم يظل قوم يونس بعذاب إلاّ بعد أن أظهروا الإصرار على الكفر، كما أنّ قدوم يونس لما أظهروا التوبة، أظهر الله سبحانه الرضا، بل متعهم إلى حين كما نصّ القرآن الكريم..، فهذا هو البداء، إنّه -كما قلنا مراراً- مجموع الظهورين، لا ظهور واحد كما هو المشتهر خطأً..

البداء بلسان علمائنا رضوان الله عليهم

البداء بلسان الشيخ الصدوق رحمه الله

قال قدس سره الشريف: إنّ الله كلّ يوم في شأن، يحيى ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء، والبداء ليس من ندامة، و هو ظهور أمر، يقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر، قال الله عز وجل: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي ظهر لهم، ومتى ظهر لله سبحانه وتعالى من عبد صلة لرحمه، زاد في عمره، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه، نقص من عمره، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا، نقص من رزقه وعمره، ومتى ظهر له منه التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره[1].

البداء بلسان الشيخ الطوسي رحمه الله

قال رحمه الله عليه في الغيبة: وعلى هذا يتأول ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها، والزيادة فيها عند الدعاء والصدقات وصلة الأرحام، وما روي في تنقيص الاعمار عن أوقاتها إلى ما قبله، عند فعل الظلم، وقطع الرحم وغير ذلك، فالله تعالى وإن كان عالماً بالأمرين، فلا يمتنع أن يكون أحدهما

---

(١) التوحيد للصدوق (ت: هاشم الطهراني): ٣٣٦. جامعة المدرسين، قم.

معلوما بشرط والآخر بلا شرط، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل[١]. وعلى هذا يتأول أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء ويبين أنّ معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغير شروطها إنْ كان طريقها الخبر عن الكائنات ؛ لأنّ البداء في اللغة هو الظهور، لا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنّا نظن خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه[٢].

بلسان السيد المرتضى ﵀

وقال السيد المرتضى ﵀ قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ نحمله على أنّ المراد به حتّى نعلم جهادكم موجوداً؛ فقبل وجود الجهاد لا يُعلم الجهاد موجوداً، وإنّما يُعلم كذلك بعد حصوله، فكذلك القول في البَداء.

قال الشيخ الطوسي ﵀: وهذا وجه حسن جدّاً[٣].

(١) قلت: وهذا عين ما قرره أهل السنّة، وقد مضى تصريح الإمام الطحاوي الحنفي في كتابه مشكل الآثار وغيره.

(٢) الغيبة للطوسي(ت: عباد الطهراني): ٤٣١. مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم.

(٣) العدة في أصول الفقه للشيخ الطوسي(ت: محمد رضا الأنصاري) ٢: ٤٩٦. ستارة، قم.

وقال الإمام ابن الجوزي من أهل السنّة (٥٩٧هـ): ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء[1].

بلسان الشيخ المفيد ﷺ

قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه في التصحيح: فالمعنى في قول الإمامية بدا الله في كذا، أي: **ظهر منه**، وليس المراد منه تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه تعالى...، **فهي معلومة له فيما لم يزل**، وإنّما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظنّ وقوعه[2].

ومن الأمثلة عليه حديث آدم وداود، وقد رواه كلّ من السنة والشيعة بإسناد صحيح..

(١) تفسير ابن الجوزي=زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٤ : ١٢٢ . دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد (ت:حسين دركاهي) ٦٦ . دار المفيد، بيروت، لبنان.

البداء في عمر آدم وداود عليهما السلام

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن خلف بن حماد، عن عبد الله بن سنان قال: سأل ابن شبرمة القاضي أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال: ما تقول يا أبا عبد الله في شيء سألني عنه الأمير، فلم يكن عندي فيه شيء..؛ سألني عن أول كتاب كتب في الأرض؟!.

قال عليه السلام: « نعم إنّ الله عز و جل عرض على آدم عليه السلام ذريته عرض العين، في صور الذر، نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً، ومؤمناً فمؤمناً، وكافراً فكافراً، فلما انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره؟!. فأوحى الله عز و جل إليه هذا ابنك داود عمره أربعون سنة، وإنّي قد كتبت الآجال، و قسمت الأرزاق، وأنا أمحو ما أشاء و أثبت وعندي أم الكتاب، فإنْ جعلت له شيئاً من عمرك ألحقت له. قال آدم: يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة. فقال الله عز و جل لجبرئيل و ميكائيل وملك الموت: اكتبوا عليه كتاباً فإنّه سينسى. فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين، فلماّ حضرت آدم الوفاة، أتاه ملك الموت فقال آدم: يا ملك الموت ما جاء بك؟!. قال: جئت

لأقبض روحك. قال آدم: قد بقي من عمري ستون سنة. فقال ملك الموت: إنّك جعلتها لابنك داود. ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب».

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فمن أجل ذلك إذا خرج الصك على المديون ذلّ المديون فقبض روحه»[1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام. وقد رواه أهل السنة بإسناد صحيح أيضاً، كالآتي..

---

(١) الكافي. باب أول صك كتب في الأرض.

ما رواه أهل السنة في آدم وداود

أخرجه أحمد بن حنبل قال: حدثنا روح، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إنّ أول من جحد آدم عليه السلام، قالها ثلاث مرات؛ إنّ الله لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره، فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة، فجعليعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، فقال أي رب، أي بني هذا؟!. قال: هذا ابنك داود، قال: أي رب، كم عمره؟!. قال: ستون سنة، قال: أي رب، زد في عمره، قال: لا، إلاّ أن تزيده أنت من عمرك، فكان عمر آدم ألف عام، فوهب له من عمره أربعين عاماً، فكتب الله عز وجل عليه كتاباً، وأشهد عليه الملائكة..

فلما حضر آدم عليه السلام، أتته الملائكة لتقبض روحه، فقال آدم: إنّه لم يحضر أجلي، قد بقى من عمري أربعون سنة. فقالوا: إنّك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلت ولا وهبت له شيئاً، وأبرز الله عز وجل عليه الكتاب، فأقام عليه الملائكة».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[1].

وأخرجه الحاكم قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد، ثنا أحمد بن مهران، ثنا أبو نعيم، ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي مثله. وقال: صحيح الإسناد[2].

فقه حديث آدم وداود!!.

هذا الحديث نصٌ ظاهر أنّ لله تعالى، قضائين، وكتابين، ولآدم وداود أجلين، كما أنّ لله تعالى علمين.

فالله تعالى وإن كان عالماً في الأزل بما كان وما يكون وما لو كان كيف يكون، لكنّه سبحانه قضى أن لا يحتج على عباده بهذا العلم الأزلي، بل بما بذله من علم لملائكته وأنبيائه ورسله وأوصيائه؛ لئلا تكون لآدم وذريّته على الله حجّة..

كما قد اتّضح أنّ الله تعالى ما حكم بأجلين ولا قضى بقضائين، ولا كتب كتابين، إلاّ لأنّ عباده مختارون، إنْ فعلوا الصدقة مثلاً زادت آجالهم

---

(١) مسند أحمد (ت: أحمد محمد شاكر) ٣: ٤٧٠، رقم: ٣٥١٩. دار الحديث القاهرة.

(٢) مستدرك الحاكم(ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٦٤٠. رقم: ٤١٣٢. العلمية، بيروت.

وإن فعلوا العكس نقصت آجالهم...، وكل هذا مدون في أم الكتاب ؛ ففي أم الكتاب مجموع الأمرين ؛ إذ قد جفّ القلم على كليهما..

إذا اتضح هذا فما هي أركان البداء وحدوده عند أهل البيت عليهم السلام ؟!!. مع التنبيه أنّنا لا نقصد من الأركان إلاّ ما كان من قبيل الشرح والبيان، لا ما كان محقِّقاً للماهيّة في الطرد والعكس..؛ فهذا لا مجال له الآن..

فهاك مجموعة من الأخبار الصحيحة عنهم عليهم السلام في ذلك كالآتي:

الركن الأوّل للبداء

لم يبد لله من جهل، تعالى الله علوا كبيراً !!

روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما بدا لله في شيء إلاّ كان في علمه قبل أن يبدو له»[1].

قلت: إسناده صحيح.

وروى الكليني علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن منصور بن حازم قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟!!.

قال عليه السلام: «لا، من قال هذا فأخزاه الله».

قلت: أ رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أ ليس في علم الله؟!.

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ٩. باب البداء.

قال ﷺ: «بلى قبل أن يخلق الخلق»[1].

قلت: إسناده صحيح.

وروى عن محمد بن يحيى، عن أحمد، عن الحسن بن علي بن فضال، عن داود بن فرقد، عن عمرو بن عثمان الجهني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « إنّ الله لم يبد له من جهل»[2].

قلت: إسناده معتبر.

---

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ١١. باب البداء.

(٢) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ١٠. باب البداء.

الركن الثاني للبداء

محو ما كان ثابتًا، وإثبات ما لم يكن

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، وحفص بن البختري وغيرهما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في هذه الآية: ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]؟!!.

قال عليه السلام: «وهل يمحى إلاّ ما كان ثابتاً، وهل يثبت إلاّ ما لم يكن»[2].

قلت: إسناده حسن صحيح بإجماع.

ما في أم الكتاب لا يعلمه إلا الله تعالى

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن ضريس، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ لله عز و جل علمين علم مبذول وعلم مكفوف: فأمّا المبذول: فإنّه

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) الكافي ١: ١٤٧. باب البداء.

ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلاّ نحن نعلمه. وأمّا المكفوف فهو: الذي عند الله عز وجل في أمّ الكتاب، إذا خرج نفذ»[1].

قلت: إسناده صحيح، على الأظهر، رجاله ثقات، وابن السندي من رواة ابن قولويه، وهم ثقات.

(١) الكافي ١: ١٥٦. باب: الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة.

الركن الثالث للبداء

علم الله تعالى علمان: مخزون ومبذول

روى الكليني عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله، فإنّه سيكون لا يكذب نفسه، ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء**»[1]. قلت: إسناده صحيح.

وروى الصفار ﷺ في بصائر الدرجات قال: حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين، عن ابن ابى عمير، عن عمر بن اذينه، عن فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **إنّ لله علماً لا يعلمه غيره، وعلماً قد اعلمه ملائكته وأنبيائه ورسله فنحن نعمله**» ثم اشار بيده إلى صدره[2].

---

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ٦. باب البداء.

(٢) بصائر الدرجات (ت: باغي): ١٣٠، رقم: ٥. مطبعة الأحمدي، طهران.

قلت: إسناده صحيح.

وأخرج الصفار أيضا قال: حدثنا ابراهيم بن هاشم، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن بشير الدهان قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: « **إنّ لله علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد علمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه**»[1].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر، والروايات في هذا متواترة لا تحصى بيسر.

---

(١) بصائر الدرجات (ت: باغي): ١٣٠، رقم: ٨. مطبعة الأحمدي، طهران.

الركن الرابع للبداء

الأجلُ أجلان: محتوم وموقوف

روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ﴾؟!.

قال: «هما أجلان: أجلٌ محتوم، وأجلٌ موقوف»[1].

قلت: إسناده صحيح. وقد مضى عنا في الفصل الأوّل أنّ اللوح المحفوظ أو أم الكتاب قد طُويا على كلّ من الأجلين، كما أن القلم قد جفّ على كليهما، لا على أحدهما..

وروى الكليني عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى عن ربعي عن الفضيل قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء»[2].

---

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ٤. باب البداء.

(٢) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ٧. باب البداء.

قلت: إسناده صحيح.

قال الطوسي جازماً: روى سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب قبله، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد عليهم السلام: كيف لنا بالحديث مع هذه الآية: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ﴾ فأمّا من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلاّ بعد كونه فقد كفر [1].

قلت: إسناده صحيح؛ فطرق الشيخ لهؤلاء الرواة الأعاظم صحيحة.

(١) الغيبة للطوسي(ت: عباد الطهراني): ٤٣١. مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم.

أهل البيت عليهم السلام لا يعلمون إلاّ علم الله المبذول

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جعفر بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو؛ من ذلك يكون البداء، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه»[(١)].

قلت: إسناده صحيح.

وروى الحميري في قرب الإسناد عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، عن أحمد بن أبي نصر البزنطي، عن الرضا عليه السلام قال: «قال أبو عبد الله، وأبو جعفر، وعلي بن الحسين، والحسين بن علي، والحسن بن علي، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام: «والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة: ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ »[(٢)].

قلت: إسناده صحيح.

---

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ٨. باب البداء.

(٢) قرب الإسناد: ٣٥٤. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

هذه هي عقديتنا نحن الشيعة في أهل البيت عليهم السلام، لا يعلمون إلاّ ما بذله الله تعالى لهم من علم، وهو العلم الذي أفاضه سبحانه على ملائكته وأنبيائه ورسله، وأمّا علمه المخزون الذي منه البداء، فلا يعلمه إلاّ هو سبحانه ؛ آية ذلك سكوتهم عن التحديث فيما احتمل المحو ؛ فلقد قالوا عليهم السلام : « والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة».

ومردّ ذلك إلى علمه الأولي، أو إلى البداء ؛ فقد يظهر لله تعالى من أفعال العباد، طاعة أو معصية، ما يغيّر قضاءه المعلوم لهم بالعلم المبذول؛ إذ قد قضى الله تعالى في أمّ الكتاب بالبداء في ذلك..

البداء في الأشقياء والسعداء

أخرج الصدوق ﵀ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، وسعد بن عبد الله جميعاً، قالا: حدثنا أيوب بن نوح، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء»[1].

أقول: إسناده صحيح بإجماع أصحابنا، وقد مضى في الفصل الآنف بمعناه عن أهل السنة، وهو نصّ أنّ الله تعالى -كما علم ضرورة ويقيناً- لا يخلف وعده في السعداء ؛ لكونه نقصاً محالاً، ناهيك عن استلزامه كذب القرآن في: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ حاشا كتاب ربنا سبحانه..

لكنّه -بفضله ورحمته ومنّه- قد يخلف وعيده في الأشقياء، بل ثمّة نصوص صحيحة ظاهرة -لعلّها متواترة- أنّ الله تعالى قد يخلف وعيده في جلّ الأشقياء؛ سيما أهل الكبائر؛ بالشفاعة وغيرها، ولن يهلك منهم آخر الأمر، إلاّ من محض الكفر، أو النفاق، أو النصب، محضاً..

---

(١) توحيد الصدوق: ٣٥٨. باب السعادة والشقاوة.

وأصل هذا في قول الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن رَّحِـمَ رَبُّـكَ وَلِـذَٰلِكَ خَلَقَهُـمْ﴾ ومقتضاه أنّ القلم وإنْ جفّ يوم الذر، أو يوم التقدير في أم الكتاب، أو اللوح المحفوظ، في أهل الجنّة السعداء وأصحاب النّار الأشقياء، لكنّه سبحانه أراد أن يرحم الأشقياء في الدنيا؛ لذلك خلقهم فيها وأنزلهم إليها؛ ليمحوهم من ديوان الأشقياء ويدرجهم بمنه ورحمته ولطفه في ديوان السعداء..؛ فالقلم جفّ على هذا أيضاً بنص آية المحو وغيرها..

صحيح أبي بصير

أخرج الكليني عن العدة، عن أحمد بن محمد البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال في دبر صلاة الفجر ودبر صلاة المغرب سبع مرات بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، دفع الله عز وجل عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الريح والبرص والجنون، وإن كان شقياً محي من الأشقياء وكتب في السعداء».

أقول: صحيح، وهذا الإسناد صحيح على الأرجح..؛ يشهد له..

موثق الحسين بن أبي العلاء

ما أخرجه الصدوق في الثواب عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد، عن محمد بن حسان، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي، عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام «قال من قرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في فريضة من الفرائض غفر الله له ولوالديه وما ولدا، وإن كان شقياً محي من ديوان الأشقياء وأُثبت في ديوان السعداء».

أقول: إسناده حسن، رجاله موثقون، ومحمد بن حسان هو الرازي، قال النجاشي: بين بين. وثقّه البهبهاني وعدّله غيره.

مصحّح الخثعمي

وأخرج ابن قولويه قال: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن بعض أصحابنا، عن أبان، عن عبد الملك الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**يا عبد الملك، لا تدع زيارة الحسين بن علي عليهما**

السلام، ومر أصحابك بذلك، يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، ويحييك الله سعيداً، ولا تموت إلاّ سعيداً، ويكتبك سعيداً»[1].

أقول: إسناده صحيح على الأظهر؛ للإجماع على أنّ أحمد بن أبي نصر البزنطي، لا يروي إلاّ عن ثقة، ناهيك عن الإجماع على تصحيح ما يصح عنه. وقوله عليه السلام: «**ويكتبك سعيداً**» ظاهر في وقوع البَداء فيمن كان شقياً.

أقول: النصوص كثيرة جدّاً، بل متواترة معنى، لا يسعنا البسط فيها، وزبدتها البَداء، وقد مضت مروياتهم بأسانيد جياد في الفصل الأول..

أدلة تحول الأشقياء إلى سعداء، متواترة

قال المازندراني: قال الاسترابادي في الفوائد المدنيّة: تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأنّ الله يخرج العبد من الشقاوة إلى السعادة، ولا يخرجه من السعادة إلى الشقاوة[2]. قلت: يقصد التواتر المعنوي، كما لا يخفى.

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨٥.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ٥: ٦٥.

بأعمالهم شقوا

أخرجه الصدوق في التوحيد قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾؟!!. قال عليه السلام: «بأعمالهم شُقوا»[١].

أقول: إسناده صحيح، على الأرجح عند جماعة من الأعلام؛ فرواية أجلّة الثقات عن البطائني الملعون، إنّما هي قبل ارتداده وجحوده؛ فلاحظ!!.

(١) التوحيد للصدوق: ٣٥٦. باب الابتلاء والاختبار. جامعة المدرسين، قم.

حديث الشقي شقي في بطن أمه

أعظم مصائب الدين، أن يخوض الخائضون في دين الله تعالى من دون إلمام مرضٍ بأخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام، ولا استقصاء كاف لمجموع أقوالهم صلوات الله عليهم، حتى وصل الأمر ببعض العلماء أنّه شكك صدور هذا الحديث عنهم سلام الله عليهم؛ لكون معناه فيما زعم، ظاهر في الجبر، وهو مناف لعدل الله تعالى الذي فطر الخلائق على الاختيار.

قلت: ليس هذا الكلام بسديد، ولا هو رشيد؛ إذ الحديث ثابت ولو معنى..؛ يدلّ على ذلك..

صحيح زرارة رحمه الله

ما أخرجه الكليني عن: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**إذا وقعت النطفة في الرحم استقرت فيها أربعين يوماً، وتكون علقة أربعين يوماً، وتكون مضغة أربعين يوماً، ثمّ يبعث الله ملكين خلاقين فيقال لهما: اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أنثى؛ صوراه واكتبا أجله ورزقه ومنيته وشقياً أو سعيداً، واكتبا لله الميثاق الذي أخذه عليه في الذر بين عينيه، فإذا دنا خروجه من بطن أمه**

بعث الله إليه ملكاً يقال له زاجر، فيزجره فيفزع فزعاً فينسى الميثاق، ويقع إلى الأرض يبكي من زجرة الملك»[١].

قلت: إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام عند كبار الأعلام، وهو صريح في أنّ الشقي شقي في بطن أمّه، والسعيد سعيد في بطن أمّه؛ فلا مجال لإنكاره أو التشكيك بصدوره، سيما مع اعتضاده..

صحيح الحسن بن الجهم

بما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقولان: يا رب ما تخلق ذكراً أو أنثى؟!. فيؤمران. فيقولان: يا رب شقياً أو سعيداً؟!. فيؤمران. فيقولان: يا رب ما أجله وما رزقه، وكل شيء من حاله، وعدد من ذلك أشياء. ويكتبان الميثاق بين عينيه، فإذا أكمل الله له الأجل، بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق.

---

(١) الكافي ٦: ١٤، رقم: ٧. باب بدء خلق الإنسان.

فقال الحسن بن الجهم فقلت له: أفيجوز أن يدعو الله فيحول الأنثى ذكراً والذكر أنثى؟!. فقال إنّ الله يفعل ما يشاء[1].

أقول: إسناده صحيح دون كلام، ومعناه في الجملة متواتر. وكلام أهل البيت عليهم السلام في دفع إشكال أهل الجهل في الجبر، قول جليّ فصل، ليس بالهزل..؛ فكتابة الملائكة لما يجري على العبد في هذا العالم، لا ينافي جفاف القلم -عن علم الباري تعالى- يوم الذر، أو قبله؛ أي لما قدّر سبحانه المقادير في اللوح المحفوظ؛ إذ الجبر مدفوع تماماً باشتراط البداء..

لكن بقي إشكال الجبر؛ فالحديث ظاهره سلب الاختيار عن العباد بعد ولاداتهم، ويدفعه أنّ كلاً من الشقاء والسعادة مشروطان بالبداء..، يدل عليه في الأخبار الصحيحة..

(١) الكافي ٦ : ١٤، رقم: ٣. باب بدء خلق الإنسان.

اشتراط البداء في: "الشقي شقي في بطن أمه"

أخرج الكليني قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي ممّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم، أو ما يبدو له فيه، ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك، حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها، فتصل النطفة إلى الرحم، فتردد فيه أربعين يوماً، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين؛ يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقّان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله، ثمّ يوحي الله إلى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطا لي البَداء فيما تكتبان.

فيقولان: يا رب ما نكتب؟!!. فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه فيرفعان رؤوسهما، فإذا اللوح يقرع جبهة أمّه، فينظران فيه، فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه».

قال ﷺ: فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه، ثمّ يقيمانه قائماً في بطن أمه، فربما عتا فانقلب، ولا يكون ذلك إلاّ في كل عات أو مارد، فإذا بلغ أوان خروج الولد، تاماً أو غير تام، أوحى الله عز وجل إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي، وينفذ فيه أمري، فقد بلغ أوان خروجه، فيفتح الرحم باب الولد، فيبعث الله إليه ملكاً يقال له: زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن، ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج، فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة»[1].

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام.

---

(١) الكافي ٦ : ١٤، رقم: ٤. باب بدء خلق الإنسان.

والحديث نص صريح فصيح في اشتراط البداء فيما كتب الملائكة من السعادة والشقاوة والرزق والأجل وغير ذلك..

ولطالما أكدنا في الفصل الأول أنّ شبهة تنافي تقدير الله تعالى في عالم الذر أو عالم التقدير، مع اشتراط البداء فيما يكتبه الملائكة، ليست بشيء..؛ فإنّ البداء نفسه قد قدره الله تعالى قبل خلق الدنيا من طين..

وروى الكليني عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية، وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»[1].

قلت: إسناده صحيح.

---

(١) الكافي ١: ١٤٧، رقم: ٣. باب البداء.

حصول البداء والمحو والإثبات في ليلة القدر

روى الكليني عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن علامة ليلة القدر؟!.

فقال عليه السلام: «**علامتها أن تطيب ريحها وإن كانت في برد دفئت وإن كانت في حر بردت فطابت..، تنزل فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيا، فيكتبون ما يكون في أمر السنة، وما يصيب العباد، وأمره عنده موقوف له، وفيه المشيئة؛ فيقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب**»[1].

قلت: إسناده صحيح.

وروى أيضاً علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن الفضيل وزرارة ومحمد بن مسلم، عن حمران أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾؟!.

---

(١) الكافي ٤ : ١٥٩ رقم: ٣. باب ليلة القدر.

قـال ﷺ: «نعـم ليلـة القـدر، وهـي في كـلّ سـنة في شـهر رمضـان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلـة القـدر؛ قـال الله عـز وجـل: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ قال ﷺ: « يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكـون في تلك السنة إلى مثلها مـن قابـل؛ خـير وشر، وطاعـة ومعصـية، ومولـود وأجل، أو رزق، فما قدر في تلك السنة وقضي، فهو المحتوم، ولله عز وجل فيه المشيئة».

قال حمران: ليلة القدر خير من ألف شهر؛ أي شيء عني بذلك؟!.

فقال ﷺ: «العمل الصالح فيها من الصلاة، والزكاة، وأنـواع الخير، خيرٌ من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضـاعف الله تبـارك وتعـالى للمـؤمنين مـا بلغـوا، ولكـن الله يضـاعف لهـم الحسـنات بحبّنا»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح بإجماع.

(١) الكافي ٤: ١٥٩ رقم: ٦. باب ليلة القدر.

ما يمضيه الله تعالى ليلة القدر فهو من المحتوم

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن إسحاق بن عمار قال: سمعته يقول وناس يسألونه؛ يقولون: الأرزاق تقسم ليلة النصف من شعبان؟!.

قال ﷺ: «فقال لا، والله ما ذاك إلاّ في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين؛ فإنّ في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان، وفي ليلة إحدى وعشرين، يفرق كلّ أمر حكيم، وفي ليلة ثلاث وعشرين يمضي ما أراد الله عز وجل من ذلك، وهي ليلة القدر التي قال الله عز وجل خير من ألف شهر». قال إسحاق بن عمار: قلت ما معنى قوله: ﴿يلتقي الجمعان﴾؟!. قال ﷺ: «يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيره وإرادته وقضائه». قال إسحاق: قلت فما معنى يمضيه في ثلاث وعشرين؟!. قال ﷺ: «إنّه يفرقه في ليلة إحدى وعشرين، ويكون له فيه البداء، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين، أمضاه فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه تبارك وتعالى»[1].

---

(١) الكافي ٤: ١٥٩ رقم: ٨. باب ليلة القدر.

قلت: إسناده صحيح، وما قيل: من ضعف الإسناد بزكريا المؤمن، فتفريط مردود ؛ لكونه من رواة ابن قولويه، وهم ثقات على الأظهر؛ على أنّ المؤمن من مشايخ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ﷺ، وهو لا يروي إلاّ عن ثقة على الأظهر الأقوى.

الدعاء يردّ القضاء وقد أبرم إبراماً

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، قال سمعته عليه السلام يقول: «**إنّ الدعاء يرد القضاء، ينقضه كما ينقض السلك، و قد أبرم إبراماً**»[1].

قلت: إسناده صحيح. وهو نص فصيح في أنّ الدعاء سبب في حصول البداء ؛ أي سبب لأن يغيّر الله تعالى قضائه، ويظهر قضاءً آخر مشروطاً بحصول الدعاء، وهذا القضاء الثاني المشروط، مما قد جف به القلم في سابق علمه سبحانه ؛ ففي اللوح المحفوظ أن الدعاء يردّ القضاء، وأنّ قضاءان أحدهما من دون دعاء، والآخر غيره مع الدعاء، ولا راد لقضائه.

قال الكليني: وعنه أي (علي بن إبراهيم) عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إنّ الدعاء يردُّ ما قد قدر، وما لم يقدر».

---

(١) الكافي ٢ : ٤٦٩ . رقم: ١ . باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.

قلت: ما قد قدر عرفته فما لم يقدر؟!. قال عليه السلام: «**حتى لا يكون**»[1].

قلت: إسناده صحيح، دون أدنى كلام.

وروى الكليني عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن بسطام الزيات، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الدعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء، و قد أبرم إبراماً»[2].

قلت: إسناده صحيح. والنصّ صريح في وجود قضائين، أحدهما مع الدعاء، والآخر غيره من دون دعاء، وهذا هو البداء فيما اتضح..

(١) الكافي ٢: ٤٦٩. رقم: ٢. باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.

(٢) الكافي ٢: ٤٦٩. رقم: ٣. باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.

كيف يردّه الدعاء القضاء المبرم؟!!.

قلت: يردّه إذا لم يلحقه الإمضاء، بيان ذلك..

القضاء المبرم على قسمين

الأول: القضاء المبرم بعد الإمضاء.

وأمثلته لا تحصى منها قوله تعالى في قوم لوط: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[1]. وهذا القضاء لا يردّه الدعاء ؛ لكونه أمضي من قبل الله تعالى؛ أي وجد وتحقق؛ نظير محاولة إنقاذ الميت من الموت.

الثاني: القضاء المبرم قبل الإمضاء.

وهذا يردّه الدعاء، بنصّ القرآن، كما في قوم يونس؛ فلقد تواتر في طرق السنة والشيعة، بل علم ضرورة أنّ الله تعالى أظلّهم بالعذاب وأنزله عليهم لما أصرّوا على الكفر، بل قد كاد أن يأخذهم لولا أنّهم تابوا آخر

---

(١) سورة النمل: ٥٦.

لحظة..؛ قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾[1]..

فالقضاء هيهنا مبرم؛ أي هو موجود متحقق، بدليل **نزول العذاب** فعلاً. لكنّ الله تعالى لم يمضه؛ أي لم يأخذهم به بسبب توبتهم ودعائهم، وهو الذي أشار إليه الصادق عليه السلام في قوله: قال: « **إنّ الدعاء يردّ القضاء وقد نزل** من السماء، وقد أبرم إبراماً » فالمقصود بالإبرام هو أنّ الله تعالى أوجده فعلاً وحقّقه لكنّه لم يمضه سبحانه؛ أي –كما في قضيّة قوم يونس– لم يعاقب به.

---

(١) سورة يونس: ٩٨.

النص في احتياج القضاء إلى إمضاء

روى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام: «عليكم بالدعاء؛ فإنّ الدعاء لله والطلب إلى الله، يردّ البلاء، وقد قدّر وقضي، ولم يبق إلاّ إمضاؤه، فإذا دعي الله عز و جل وسئل صرف البلاء صرفة»[١].

قلت: إسناده صحيح.

وأخرج البرقي عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت لا يكون إلاّ ما شاء الله، وأراد، وقضى. فقال عليه السلام: «**لا يكون إلاّ ما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى**» قلت: فما معنى شاء؟!. قال عليه السلام: «**ابتداء الفعل**». قلت فما معنى أراد؟!. قال عليه السلام: «**الثبوت عليه**». قلت: فما معنى قدر؟!. قال عليه السلام: «**تقدير الشيء من طوله وعرضه**» قلت: فما معنى قضى؟!. قال عليه السلام: «**إذا قضاه أمضاه فذلك الذي لا مردّ له**»[٢].

---

(١) الكافي ٢: ٤٦٩. رقم: ٨. باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.

(٢) المحاسن: ٢٤٢، رقم: ٢٣٧.

قلت: إسناده صحيح، والمقصود إذا أمضاه بعد أن قضاه، بشهادة أحاديث الباب.

قال المازندراني ﷺ في شرح الكافي: وبالجملة العلم قسمان: **الأوّل: علم موقوف**، وهو العلم بالأشياء قبل إمضائها، في حال المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء؛ فإنّها في هذه المراتب في محل البداء، فإذا تعلّق بهذا الإمضاء بعد القضاء، خرجت عن حدّ البداء ودخلت في الأعيان. **القسم الثاني: وعلم مبذول** وهو: العلم بالأشياء بعد تعلّق الإمضاء[1].

---

(١) شرح الكافي للمازندراني (ت: علي عاشور) ٦: ٣٣ . إحياء التراث العربي، بيروت.

من القضاء المحتوم، ردّ القضاء بالدعاء

روى الكليني علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: **«أ لا أدلك على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله»؟!**. قلت: بلى.

قال ﷺ: «الدعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراماً وضم أصابعه»[1].

قلت: إسناده صحيح.

معنى قول الباقر ﷺ: «لم يستثن فيه رسول الله»

أي لم يقل النبي ﷺ: إن شاء الله، وهو يفيد أنّ ردّ القضاء بالدعاء من المحتوم، بيان ذلك أنّ الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يستثني فيما فيه المشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]، فلما لم يستثن النبي ﷺ، تعيّن القول بالحتم.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى، عن أبي همام إسماعيل بن همام، عن الرضا عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه

(١) الكافي ٢: ٤٧٠. رقم: ٦. باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.
(٢) سورة الكهف: ٢٣.

السلام: «إنّ الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة؛ إنّ الدعاء ليرد البلاء، وقد أبرم إبراماً»[1].

قلت: إسناده صحيح. والروايات في ذلك كثيرة جداً، تكاد تكون متواترة عن الفريقين سنة وشيعة، بل هي كذلك، لا يسعها مقامنا، وهي صريحة في حتميّة تغيير القضاء بالدعاء..، فاغتنم رحمة ربنا التي لا يعلو عليها غيره، سبحانه وتعالى.. ؛ نعم الرب ربنا، وبئس العبيد نحن.

(١) الكافي ٢: ٤٧٠. رقم: ٤. باب الدعاء يردّ البلاء والقضاء.

أدعية البداء وأعمال محو القضاء

زيارة الحسين تحول الشقاء سعادة

أخرج ابن قولويه قال: حدثني محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقه، غير مستكبر ولا مستنكف، قال ﷺ: «**يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإنْ كان شقياً كتب سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله عز وجل**»[1].

قلت: إسناده صحيح.

دعاء البسملة والحوقلة، يمحو الشقاء ويثبت السعادة

روى الكليني عن العدة، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه

---

(١) كامل الزيارات: ٣٠٧.

السلام قال: «من قال في دبر صلاة الفجر و دبر صلاة المغرب سبع مرات: بسم الله الرحمن الرحيم لا حول و لا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، دفع الله عز و جل عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء، أهونها الريح، و البرص، و الجنون، وإنْ كان شقياً محي من الشقاء وكتب في السعداء»[1].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى.

فالبطائني لم يرو أصحابنا عنه بعد انحرافه، وهو قبل الانحراف كان ثقة مستقيماً.

دعاء البَدَاء في ليلة القدر، فيه القضاء المحتوم

روى الكليني رضوان الله عليه عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام في الدعاء في شهر رمضان في كل ليلة تقول: **«اللهم إنّي أسألك فيما تقضي وتقدر، من الأمر المحتوم، في الأمر الحكيم، من القضاء الذي لا يردّ ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المكفر عنهم سيئاتهم، المغفور ذنوبهم، المشكور سعيهم، وأن تجعل في ما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم، في الأمر الحكيم، في ليلة**

---

(١) الكافي ٤: ١٦٢ رقم: ٨. باب الدعاء ليلة القدر، والعشر الأواخر.

القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أنْ تطيل عمري، وأن توسع عليّ في رزقي، وأن تجعلني ممّنْ تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري»[1].

قلت: إسناده صحيح.

دعاء البداء، أول رمضان، فيه القضاء المحتوم

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن الحسن بن علي، عن عمرو بن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، فقل:

اللهمّ رب شهر رمضان، ومنزل القرآن، هذا شهر رمضان، الذي أنزلت فيه القرآن، وأنزلت فيه آيات بينات من الهدى والفرقان، اللهمّ ارزقنا صيامه، وأعنّا على قيامه، اللهم سلّمه لنا، وسلمنا فيه، وتسلّمه منا، في يسرٍ منك ومعافاة، واجعل فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم، فيما يفرق من الأمر الحكيم، في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم،

---

(١) الكافي ٢: ٥٣١، رقم: ٢٥. باب الدعاء عند الاصباح والإمساء.

المغفور ذنبهم، المكفر عنهم سيئاتهم، واجعل فيما تقضي وتقدر، أن تطيل لي في عمري، وتوسع عليّ من الرزق الحلال»[١].

قلت: إسناده موثق صحيح.

حديث صحيح آخر ظاهر في دعاء البداء

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن العبد الصالح (عليه السلام) قال: «ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبل دخول السنة؛ من دعا به محتسباً مخلصاً لم تصبه في تلك السنة فتنة ولا آفة يضر بها دينه وبدنه ووقاه الله عز ذكره شر ما يأتي به تلك السنة.

اللهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء، وبرحمتك التي وسعت كلّ شيء، وبعزتك التي قهرت بها كل شيء، وبعظمتك التي تواضع لها كل شيء وبقوتك التي خضع لها كل شيء، وبجبروتك التي غلبت كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، يا نور يا قدوس، يا أول قبل كل شيء، ويا باقي بعد كل شيء، يا الله يا رحمن يا الله، صل على

(١) الكافي ٤: ٧٢، رقم: ٢. باب الدعاء مستقبل رمضان.

محمد وآل محمد، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي يستحق بها نزول البلاء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، وألبسني درعك الحصينة التي لا ترام، وعافني من شر ما أحاذر بالليل والنهار في مستقبل سنتي هذه».

اللهم رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم، ورب السبع المثاني والقرآن العظيم، ورب إسرافيل وميكائيل وجبرئيل ورب محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته سيد المرسلين، وخاتم النبيين، أسألك بك وبما سميت، يا عظيم، أنت الذي تمن بالعظيم، وتدفع كلّ محذور، وتعطي كل جزيل، وتضاعف من الحسنات بالقليل والكثير، وتفعل ما تشاء يا قدير، يا الله يا رحمن يا رحيم، صل على محمد وأهل بيته، وألبسني في مستقبل هذه السنة سترك، ونضر وجهي بنورك، وأحبني بمحبتك، وبلغني رضوانك، وشريف كرامتك، وجزيل عطائك، من خير ما عندك، ومن خير ما أنت معط أحداً من

خلقك، وألبسني مع ذلك عافيتك، يا موضع كل شكوى، ويا شاهد كل نجوى، ويا عالم كل خفية، ويا دافع كلّ ما تشاء من بلية، يا كريم العفو، يا حسن التجاوز، توفني على ملة إبراهيم وفطرته، وعلى دين محمد وسنته، وعلى خير وفاة، فتوفني موالياً لأوليائك، معادياً لأعدائك.

اللهم وجنبني في هذه السنة، كلّ عمل أو قول أو فعل، يباعدني منك واجلبني إلى كلّ عمل أو قول أو فعل يقربني منك في هذه السنة يا أرحم الراحمين، وامنعني من كلّ عمل أو فعل أو قول يكون منّي أخاف ضرر عاقبته، وأخاف مقتك إيّاي عليه، حذراً أنْ تصرف وجهك الكريم عنّي، فاستوجب به نقصاً من حظٍ لي عندك يا رؤوف يا رحيم.

اللهمّ اجعلني في مستقبل هذه السنة، في حفظك وجوارك، وكنفك، وجللني ستر عافيتك، وهب لي كرامتك، عزّ جارك وجلّ ثناء وجهك ولا إله غيرك.

اللهمّ اجعلني تابعاً لصالح من مضى من أوليائك، وألحقني بهم واجعلني مسلّماً لمن قال بالصدق عليك منهم، وأعوذ بك يا إلهي أن تحيط به خطيئتي وظلمي، وإسرافي على نفسي، واتباعي هواي، واشتغالي بشهواتي، فيحول ذلك بيني وبين رحمتك ورضوانك، فأكون منسياً عندك،

متعرضاً لسخطك ونقمتك. اللهم وفقني لكل عمل صالح ترضى به عني، وقربني به إليك زلفى.

اللهم كما كفيت نبيك محمداً صلى الله عليه وآله هول عدوه، وفرجت همّه، وكشفت غمه، وصدقته وعدك، وأنجزت له موعدك بعهدك، اللهمّ بذلك فاكفني هول هذه السنة، وآفاتها وأسقامها، وفتنتها وشرورها، وأحزانها وضيق المعاش فيها، وبلغني برحمتك كمال العافية بتمام دوام العافية، والنعمة عندي إلى منتهى أجلي، أسألك سؤال من أساء وظلم واعترف، وأسألك أن تغفر لي ما مضى من الذنوب، التي حصرتها حفظتك، وأحصتها كرام ملائكتك عليّ، وأن تعصمني إلهي من الذنوب فيما بقي من عمري إلى منتهى أجلي، يا الله يا رحمن صل على محمد وعلى أهل بيت محمد، وآتني كلّ ما سألتك ورغبت إليك فيه؛ فإنك أمرتني بالدعاء وتكفّلتَ لي بالإجابة»[1].

قلت: إسناده صحيح فيما هو واضح.

(١) الكافي ٤: ٧٢، رقم: ٣. باب الدعاء مستقبل رمضان.

قول النبيّ ﷺ: (كلٌّ ميسّر لما خلق له)

هذا من الأحاديث التي عدّها أكثر العلماء، سيما أهل السنّة، من العويصات، وليس الأمر كذلك لو كانوا قد وقفوا على أقوال أهل البيت وما روي عنهم عليهم السلام..؛ إذ كلّ مرويات أهل السنّة فيما نحن فيه، إمّا مبهمة اللفظ، وإمّا مبتورة المتن، فهاك ما كان تاماً منه عن أهل البيت عليهم السلام كالآتي..

أخرج أحمد في مسنده قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ، قال: كان رسول الله ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به، قال: فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلاّ وقد علم منزلها من الجنة والنار**» قال: فقالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟!. قال: «اعملوا، فكلٌّ ميسر لما خلق له: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين[1].

---

(١) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٢: ٥٦، رقم: ٦٢١. الرسالة، بيروت.

وأجلى منه ما أخرجه الصدوق قال: حدثنا الشريف أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه**».!!.

فقال ذ إسناده صحيح، وله شواهد كثيرة في مصادرنا كصحيح الكناني وغيره، وحاصل الجمع بينهما أنّ التيسير على معنيين في آن واحد..

الأوّل: كلّ إنسان، حتى الشقيّ، ميسّر لطاعة الله ودخول الجنّة، وهو صريح استدلال الإمام الكاظم عليه السلام بقول الله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ . فانتفى الجبر إلى يوم القيامة..

الثاني: التيسير للمعصية لمن اختارها من الأشقياء؛ فالمعصية وإن كانت باختيار العبد، لكنّها لا تقع إلاّ بإذن الله، في سلطانه. فانتفى التفويض الباطل، وهو قول قدريّة هذه الأمّة لعنهم الله تعالى، إلى يوم القيامة.

الزبدة: فقوله ﷺ: كلٌّ ميسر لما خلق له، أي كل الخلائق ميسرون للعبادة والطاعة، وأن تمحى أسماؤهم من سجل الأشقياء ليكونوا في ديوان السعداء إذا عملوا صالحاً..

معنى جف القلم

من طرقنا صحيح البزنطي قال: سمعت الرضا عليه السلام قال: «جفّ القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن واتقى، والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذب وعصى»[1].

قلت: إسناده صحيح، والحديث نصّ صريح في أنّ القلم جفّ على نوعين من القضاء، فلقد جفّ على المحتوم، وعلى المشروط بسعي العباد واختيارهم، لا على المحتوم فقط، ولا بأس أن يقال: إنّ من القضاء المحتوم: ردّ القضاء بالدعاء.

(١) قرب الإسناد للحميري: ١٥٦.

البداء في صلة الرحم وأنّه ينسئ في الأجل

سردنا في الأوّل من طرق أهل السنّة هداهم الله عن رسول الله ﷺ، ما تسنّى لنا من ذلك، وعندنا مثله عن أهل البيت عن رسول الله ﷺ، بنفس الألفاظ أو ما قاربها..

فلقد روى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**صل رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها، وصلة الرحم منسأة في الأجل، محببة في الأهل**»[1].

وروى عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن عبيد الله قال: قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): «يكون الرجل يصل رحمه، فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء»[2].

---

(١) الكافي ٢: ١٥١، رقم: ٨. باب صلة الرحم.

(٢) الكافي ٢: ١٥١، رقم: ٣. باب صلة الرحم.

وروى الكليني أيضاً عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن قرط، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسئ في الأجل» [1].

قلت: أسانيدها صحاح كلّها، وابن أبي عمير من أصحاب الإجماع، لا يروي إلاّ عن ثقة. والأخبار في هذا متواترة عند الفريقين سنّة وشيعة.

---

(١) الكافي ٢: ١٥١، رقم: ٣. باب صلة الرحم.

البداء في الصدقة؛ لكونها تمحو شرّ القضاء

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « الصدقة باليد تقي ميتة السوء، وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، و تفك عن لحي سبعين شيطاناً، كلّهم يأمره أن لا يفعل»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام.

وروى الكليني عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار جميعاً عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن غالب عمّن حدثه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «البر **والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر، ويدفعان تسعين ميتة سوء**»[2].

قلت: معلوم ضرورة، وهذا الإسناد صحيح، ولا استبعاد أن يروي الكليني عن ابن بزيع، وعلى أقل التقادير من أصل كتابه، وصفوان من أصحاب الإجماع. يشهد له..

---

(١) الكافي ٤: ٣، رقم: ٧. باب فضل الصدقة.

(٢) الكافي ٤: ١، رقم: ٢. باب فضل الصدقة.

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصدقة تدفع ميتة لسوء**»[1].

قلت: إسناده موثق حسن، بل صحيح على التحقيق.

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني عن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إنّ الله الذي لا إله إلاّ هو، ليدفع بالصدقة الداء، والدبيلة، والحرق، والغرق والهدم، والجنون و عد صلى الله عليه وآله سبعين بابا من السوء»[2].

قلت: إسناده كسابقه.

وروى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاد، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بكّروا بالصدقة وارغبوا فيها، فما من مؤمن يتصدق بصدقة يريد بها ما

---

(١) الكافي ٤ : ١، رقم: ١ . باب فضل الصدقة.

(٢) الكافي ٤ : ٥، رقم: ٢ . باب الصدقة تدفع البلاء.

عند الله؛ ليدفع الله بها عنه شرّ ما ينزل من السماء إلى الأرض، في ذلك اليوم، إلاّ وقّاه الله شرّ ما ينزل من السماء إلى الأرض في ذلك اليوم»[١].

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وسهل ثقة من العلماء الأجلاء عظيم المنزلة، يكفي أنّ الكليني روى عنه في الكافي أكثر من ألف رواية..؛ فقول البعض بضعف أحاديثه، استرواح ليس بمرض.

وروى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عبد الرحمن بن حماد، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الصدقة لتدفع سبعين بلية من بلايا الدنيا مع ميتة السوء، إنّ صاحبها لا يموت ميتة السوء أبداً مع ما يدخر لصاحبها في الآخرة»[٢].

قلت: إسناده قوي، رجاله ثقات، وعبد الرحمن بن حماد، هو أبو القاسم الكوفي، من مشايخنا المحدثين من أصحاب الكتب والإجازة لم يرد فيه طعن، فحديثه قويّ حسن، بل صحيح على مبنى غير واحد من العلماء.

---

(١) الكافي ٤ : ٥، رقم: ١ . باب الصدقة تدفع البلاء.

(٢) الكافي ٤ : ٥، رقم: ٦ . باب الصدقة تدفع البلاء.

جلالة الصدقة في البداء ومحو الآجال

وروى الكليني علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم، قال: قال أبو الحسن عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: « إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان له ابن، وكان له محباً، فأُتي في منامه فقيل له: إنّ ابنك ليلة يدخل بأهله يموت؛ فلما كان تلك الليلة و بنى عليه أبوه، توقع أبوه ذلك، فأصبح ابنه سليماً، فأتاه أبوه فقال له: يا بني هل عملت البارحة شيئاً من الخير؟!. قال: لا، إلاّ أنّ سائلاً أتى الباب، وقد كانوا ادخروا لي طعاماً، فأعطيته السائل. فقال أبوه: بهذا دفع الله سبحانه عنك»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح.

وروى الكليني عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول كان رجلٌ من بني إسرائيل، ولم يكن له ولد، فولد له غلام، و قيل له: إنّه يموت ليلة عرسه، فمكث الغلام، فلما كان ليلة عرسه، نظر إلى شيخ كبير ضعيف، فرحمه الغلام فدعاه فأطعمه، فقال له السائل: أحييتني أحياك الله. قال:

(١) الكافي ٤ : ٧، رقم: ٨. باب الصدقة تدفع البلاء.

فأتاه آت في النوم فقال له: سل ابنك ما صنع؟!. فسأله فخبره بصنيعه قال: فأتاه الآتي مرة أخرى في النوم، فقال له: إنّ الله أحيا لك ابنك بما صنع بالشيخ[1].

قلت: إسناده صحيح، ومعلى هو ابن محمد البصري، ثقة من رواه علي بن إبراهيم في تفسيره، وهم ثقات على الأظهر.

---

(١) الكافي ٤ : ٧، رقم: ٩ . باب الصدقة تدفع البلاء.

حديث أمير المؤمنين: (أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله)

أخرجه الصدوق قال: حدثنا علي بن عبد الله الوراق (محدّث جليل، ترضى عنه الصدوق وأكثر عنه)، وعلي بن محمد بن الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني قالا: حدثنا سعد بن عبد الله (الأشعري، ثقة من الإجلاء)، قال: حدثنا الهيثم بن أبي مسروق النهدي (ثقة)، عن الحسين بن علوان (ثقة)، عن عمرو بن ثابت (ثقة) عن سعد بن طريف (ثقة) عن الأصبغ بن نباتة (ثقة من الأجلاء الخواص)، قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر، فقيل له، يا أمير المؤمنين أتفرّ من قضاء الله؟!.

فقال ﷺ: «أفرّ من قضاء الله، إلى قدر الله عز وجل»[1].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى. ومعنى الفرار من القدر إلى القضاء كالآتي:

---

(١) التوحيد (ت: الطهراني): ٣٧٠ . جامعة المدرسين، قم.

مراتب إمضاء القضاء الإلهي!!

ورد في الأخبار المعتبرة أنّ كلّ ما قضى به الله تعالى له مراتب كالآتي: المشيئة أولاً، ثمّ الإرادة ثانياً، ثمّ القدر ثالثاً، ثمّ القضاء رابعاً، ثمّ الإذن أو الإمضاء خامساً. والمشتهر على ألسنة العوام: القضاء والقدر، وهو خطأ، والصحيح: القدر والقضاء.

وإنّما قال المولى عليه السلام: «**أفرّ من قضاء الله، إلى قدر الله عز وجل**»، فلأنّ القضاء أقرب في التحقق والحصول من القدر؛ إذ القدر هو مجرّد نظام أسباب ومسببات قدّرها الله تعالى الذي أحاط بكلّ شيء حكمةً وعلماً ورحمة، لكنّ هذا النظام غير مفعّل عند الله قبل القضاء.

إذ القضاء فهو نفس النظام، لكنّه -فيما نحن فيه- مفعّل بإضافة ما سيختاره العبد من طاعة أو معصية، فإذا اختار العبد أحدهما، كالمعصية مثلاً، قضى الله تعالى بما يترتب على أحدهما وأبرمه؛ أي فعّله كيما ينوجد في الخارج، لكن مع مهلة؛ فلعلّ العبد يتوب؛ فإذا تاب العبد رفع الله القضاء ورجع إلى مجرّد التقدير، وحسبنا لفهم هذا قضيّة قوم يونس عليه السلام.

حديث الصادق عليه السلام: (الرقية من القدر)

أخرج الصدوق قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين ابن يزيد النوفلي، عن عليّ بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الرقي أتدفع من القدر شيئاً؟!.

فقال عليه السلام: «هي من القدر؛ إنّ القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين **أرادوا أن يصفوا الله بعدله، فأخرجوه من سلطانه**»[1].

قلت: إسناده قوي.

وجه تشبيه القدريّة بالمجوس!!

والقدريّة هؤلاء فرقة من المعتزلة الأوائل، نفوا أن تقع الشرور بإذن الله تعالى، وهذا عين الضلال، وإنّما سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أهل البيت صلوات الله عليهم: قدريّة، وأنهم مجوس الأمّة؛ لكون المجوس يقولون بإله ثان تصدر عنه الشرور والعياذ بالله تعالى؛ فهذا وجه التشبيه.

---

(١) التوحيد (ت: الطهراني): ٣٨٣، رقم: ٢٩. جامعة المدرسين، قم.

وقول الصادق عليه السلام: «**الرقية من القدر**» واضح؛ فلقد أكثرنا أنّ القلم يوم قدّر الله تعالى المقادير، قد جفّ على المحو أيضاً، كما جفّ على الإثبات.

ما عُبد الله بشيء أعظم من البداء

روى الكليني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن أبي إسحاق ثعلبة، عن زرارة بن أعين، عن أحدهما عليهما السلام قال: « **ما عبد الله بشيء مثل البداء** »[١].

قلت: إسناده صحيح.

وكون البداء أعظم العبادات؛ لكونه تعظيماً قلبياً لله تعالى ليس بعده تعظيم، ووجهه أنّ مردّ البداء إلى أنّ الله تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أزلاً وأبداً، وأنّ له وحده سبحانه مقام الخلق والأمر دون سواه، يشهد للتعظيم..

وروى الصدوق في كتاب التوحيد قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أيوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **ما عظم الله عز وجل بمثل البداء** »[٢].

---

(١) الكافي ١: ١٤٨، رقم: ١. باب البداء.

(٢) التوحيد للصدوق (ت: هاشم الطهراني): ٣٣٤. باب البداء. مؤسسة جامعة المدرسين، قم.

قلت: إسناده صحيح في أعلى درجات الصحّة.

ورى الصدوق قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو يعلم النّاس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[1].

قلت: حديث صحيح، رواته ثقات على الأظهر الأقوى.

والأجر في الكلام في البداء وتذاكره؛ لكونه تعظيماً لله تعالى؛ لما ذكرناه من أنّه إقرار أنّ لله تعالى الأمر من قبل ومن بعد، وأنّه أحاط بكل شيء علماً أزلاً وأبداً، سيما علمه المخزون الذي لم يطلعه حتى لأنبيائه وأوصيائه، وفي هذا كمال التوحيد..

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) التوحيد للصدوق (ت: هاشم الطهراني): ٣٣٤. باب البداء. مؤسسة جامعة المدرسين، قم.

فهرست المحتويات